الحديث النبوي الشريف

دروس في الفقه وفقه الدعوة والسياسة الشرعية

مساق حديث (٣)

تصنيف

الدكتور/ نزار عبد القادر محمد الريان

أستاذ الحديث المساعد بالجامعة الإسلامية
الرئيس السابق لقسم الحديث الشريف
بكلية أصول الدين

1421هـ - 2001 م

الحديث النبوي الشريف

دروس في الفقه و فقه الدعوة والسياسة الشرعية

تصنيف

الدكتور نزار عبد القادر محمد الريان

أستاذ الحديث المساعد بالجامعة الإسلامية

الرئيس السابق لقسم الحديث الشريف

بكلية أصول الدين

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

الحديث الأول

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الفتن:

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَىْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ**"

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَدِّي، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَعَنَا مَرْوَانُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ:" **هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَىْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**".

فَقَالَ مَرْوَانُ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً!!

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: بَنِي فُلانٍ وَبَنِي فُلانٍ لَفَعَلْتُ.

فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي إِلَى بَنِي مَرْوَانَ حِينَ مَلَكُوا بِالشَّأْمِ، فَإِذَا رَآهُمْ غِلْمَانًا أَحْدَاثًا قَالَ لَنَا: عَسَى هَؤُلاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟

قُلْنَا: أَنْتَ أَعْلَمُ[1].

أولاً: تخريج الحديث:

رواه البخاري[2] ومسلم[3]، وأحمد[4]، والحاكم[5]، والبيهقي في الدلائل[6]، وابن

---

[1] ضبط لفظه مطابق للطبعة السلطانية المطبوعة عن النسخة اليونينية، وكذلك أفعل في كل رواية للبخاري في هذا الكتاب، انظره في المجلد التاسع ص:٦٠.

[2] البخاري كتاب الفتن، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَىْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ" رقم: ٧٠٥٨ وأورده في كتاب المناقب بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ رقم: ٣٦٠٤ و٣٦٠٥.

حبان[٧]، وغيرهم.

ثانياً: دراسة السند:

مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ المِنْقَرِي[٨] مولاهم[٩]؛ أبو سَلَمَة التَّبُوذَكي، و التَّبُوذَكيُّ: بياع السماد، وقيل: بل بياع ما في بطون الدجاج من القلب والكبد والقانصة [١٠]، بصري ثقة؛ وثقه ابن معين وغيره.

روى عن عَمْرُو بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ القرشي السَّعيديِّ، وروى عنه البخاري الإمام[١١]، توفي رحمه الله سنة ثلاث وعشرين ومائتين[١٢].

عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ القرشيُّ الأُمَويُّ؛ أبو أُمَيَّة السَّعيديُّ المكي الشامي، روى عن جده؛ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو الأُمَويُّ، وروى عنه مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ

---

[٣] مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة بَاب: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنْ الْبَلاءِ رقم: ٢٩١٧.

[٤] مسند أحمد رقم: ٧٩٤٥.

[٥] المستدرك ٥٧٢/٤.

[٦] دلائل النبوة ٤٦٤/٦-٤٦٥.

[٧] انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، رتبه علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة: ٧٣٩ ١٠٧/١٥.

[٨] المِنْقَري: قال السمعاني ٣٩٦/٥:" هذه النسبة بكسر الميم، وجزم النون، وفتح القاف والراء، هذه النسبة إلى بني مِنْقَر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان، كان منهم جماعة" ذكر منهم المترجم له هنا.

[٩] معنى" مولاهم": أي أنّ الراوي هنا ليس من منقريًا بالنسب، وإنما هو ممن التحق بالقبيلة التحاقًا بسبب من أسباب الولاء عند العرب.

[١٠] السمعاني في الأنساب ٤٤٧/١.

[١١] تهذيب الكمال ٢٣/٢٩.

[١٢] تهذيب الكمال ٢١/٢٩ وانظر: تهذيب التهذيب ٣٨٧/٨.

المِنْقَري، قال يحيى بن معين: صالح، ووثقه غيره[١٣].

سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بن العاص الأُمَويُّ، مدني الأصل؛ دمشقي النشأة، كوفي الوفاة.

روايته عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلة، روى عن أبي هريرة، وروى عنه حفيده عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ القرشيُّ.

ثقة؛ وثَّقه أبو زرعة[١٤]، والنسائي، وغيرهما، كان من علماء قريش بالكوفة، روى له أصحاب الكتب الستة، سوى الترمذي، وهو جد الراوي السابق[١٥]**أبو هريرة**: الصحابي؛ عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني المتوفى سنة تسع وخمسين رضي الله عنه، راوية الحديث؛ مكثر من الرواية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١٦].

ثالثاً: لطائف السند:

١. فيه رواية الحفيد عن جدِّه؛ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الأُمَويُّ عن جدِّه سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بن العاص الأُمَويِّ.

٢. فيه ثلاثة رواة شاميين، وهم: الصحابي، فقد دخل الشام كثيرًا، والتابعي، والراوي عنه.

رابعاً: رحلة الحديث:

رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة كما أفاد الخبر، وعنه في المدينة أخذه سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو، الذي كان يكثر روايته على الناس فرواه مرارًا، ومنها هذه

---

[١٣] تهذيب الكمال ٢٢/٢٩٤-٢٩٥.

[١٤] الجرح والتعديل ٤/ترجمة رقم:٢٠٩.

[١٥] تهذيب الكمال ١١/١٨-٢٠.

[١٦] الإصابة ٧/١٩٩.

الرواية في الشام كما أخبر حفيده بقوله:" فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي إِلَى بَنِي مَـرْوَانَ حِينَ مَلَكُوا بِالشَّأْمِ" وعن حفيده أخذه مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ المِنْقَـرِيُّ التَّبُوذَكِـيُّ البَصْرِيُّ، بالكوفة غالبًا، فإنَّ عَمْرَو بْنَ يَحْيَى صار إلى المدينة ثم استقر بالكوفـة، وكان علمها، قال الزبير بن بكار: كان من علماء قريش بالكوفة[١٧].

فالحديث: مَدَنِيٌّ شامِيٌّ كُوفِيٌّ بَصْرِيٌّ.

خامساً: شجرة الإسناد:

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أبو هريرة

سعيد بن عمرو

عمرو بن يحيى

موسى بن إسماعيل

البخاري

سادساً: ألفاظ التلقي والأداء:

فيه التحديث بصيغة الجمع، والإخبار بالإفراد، والسماع المفرد، وهي من أعلى درجات التلقي والأداء.

وَبَوَّبَ البخاريُّ رحمه الله في كتاب العلم بابًا قال فيه: بَابُ قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثَنَا وَأَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا، وَقَالَ لَنَا الْحُمَيْدِيُّ: كَانَ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَـا وَأَخْبَرَنَـا وَأَنْبَأَنَا وَسَمِعْتُ وَاحِدًا.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّـادِقُ الْمَصْدُوقُ.

---

[١٧] تهذيب الكمال ١١/٢٠.

وَقَالَ شَقِيقٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ حُذَيْفَةُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ.

وَقَالَ أَنَسٌ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ" [١٨].

سابعاً: مناهج البخاري في الحديث:

١. الترجمة للحديث: فقد ترجمه بقوله:" بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ".

٢. تكرار الحديث: فقد أخرجه في موضعين آخرين متتابعين من صحيحه؛ في كتاب المناقب: باب بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ.

وكرره لفوائد:

الأولى: متابعة أبي زرعة بن عمرو البَجَلِيِّ سعيدًا الأموي، فقد تابعه عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والثانية: زيادة قول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم:" فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ:" **لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ**"[١٩].

ثامناً: التحقق من شرط البخاري في هذا الحديث.

للبخاري رحمه الله شرطان رئيسان في رواية أحاديثه في صحيحه، وهما:

---

[١٨] البخاري كتاب العلم بَاب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثَنَا وَأَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا.

[١٩] صحيح البخاري رقم: ٣٦٠٤.

١. شرطه في العنعنة.

٢. شرطه في انتقاء الرجال.

أما شرطه في العنعنة فلن يتعرض له الباحث في هذا الحديث، وذلك لعدم اشتمال الحديث على العنعنة.

فيبقى شرطه في انتقاء الرجال، وقد اشتهر أنه رحمه الله يخرج حديث رجال الطبقة الأولى، وينتقي من أحاديث الطبقة الثانية.

قال الحازمي رحمه الله:" اعلم أنَّ لهؤلاء الأئمة مذهبًا في كيفية استنباط مخارج الحديث، نشير إليها على سبيل الإيجاز، وذلك أنَّ مذهب من يخرج الصحيح أنْ يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه وفيمن روى عنهم وهم ثقات أيضًا، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت، يلزمهم إخراجه، وعن بعضهم مدخول لا يصلح إخراجه إلا في الشواهد والمتابعات، وهذا باب فيه غموض، **وطريقه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم**، ولنوضح ذلك بمثال: وهو أنْ نعلم مثلاً أنَّ أصحاب الزهري على طبقات خمس، ولكل طبقة منها مزية على التي تليها وتفاوت، فمن كان في(**الطبقة الأولى**) فهو الغاية في الصحة، وهو غاية مقصد البخاري، و(**الطبقة الثانية**) شاركت الأولى في العدالة، **غير أنَّ الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان، وبين طول الملازمة للزهري**، حتى كان فيهم من يزامله في السفر، ويلازمه في الحضر، والطبقة الثانية لم تلازم الزهري إلا مدة يسيرة، فلم تمارس حديثه، وكانوا في الإتقان دون الطبقة الأولى"[٢٠].

قال الباحث: وتعرف الملازمة **بالنص عليها**، فقد يقول الناقد في الراوي مثلاً: روى عنه في الموسم، يعني موسم الحج، وهذا نص في قلة الملازمة، كما قد

---

[٢٠] شروط الأئمة الخمسة ص٥٦-٥٧.

ينص على طول الملازمة بقوله: صحبه ست سنين مثلاً، فهذا بيان طول الملازمة، والناظر في كتب الرجال يجد بيان ذلك وتوضيحه.

كما تعرف الملازمة **بكثرة أحاديث الراوي عن هذا الشيخ**، فإن كثرة الرواية مظنة طول الملازمة، وإن لم تكن لازمة، فقد يأتي الراوي إلى شيخه في زيارة سريعة لا تتجاوز شهرًا مثلاً، ثم يأخذ أحاديث شيخه بكتابة غيره، ثم يقرأها عليه، ويعود سريعًا بأحاديث الشيخ، فهذا لا شك من رجال الطبقة الأولى.

وتعرف الملازمة من **طريقة ألفاظ أداء الراوي عن شيخه**، فإن أكثر من قوله:" حدثني" و"سمعت" دل على طول الملازمة والانفراد.

وهناك إشارات في ترجمة الراوي تشي بطول الملازمة، كأن يكون الراوي وشيخه **بلديان تعاصرًا مدة طويلة**، وكثرت رواية الراوي عنه.

كما يعرف حال الراوي في شيخه من **صنيع الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب**؛ حيث **يأتي بأسماء الرواة عن الشيوخ حسب مراتبهم**، فيذكر أولاً من طالت ملازمته، وهكذا.

والآن إلى التحقق من شرط البخاري في انتقاء رجال هذا الحديث:

١. مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عن عَمْرو بْنِ يَحْيَى.

لم يرد نص في ملازمة موسى لشيخه عَمْرو بْنِ يَحْيَى، ورواية عَمْرو بْنِ يَحْيَى قليلة جدًا لا تتجاوز خمسة أحاديث، منها ثلاثة من رواية موسى بن إسماعيل، وهذا مشعر بأنه راويته، ويترجح للباحث اعتباره أعلى من رجال الطبقة الثانية عنه، لا سيما أن الرواة عن عَمْرو بْنِ يَحْيَى خمسة، أحاديثهم عنه دون أحاديث مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ.

وعليه، فإنَّ الإمام البخاري لم يجد راويًا عن عَمْرو بْنِ يَحْيَى أكثر رواية أو أكثر ملازمة من مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، والله تعالى أعلم.

٢. عَمْرو بْنِ يَحْيَى عن سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو.

مرويات سعيد بن عمر نحو أربعين رواية، ورواية حفيده عنه نحو ربعها، وملازمته له غير منصوص عليها، ولم تذكر وفاتهما، لكن شأن الجد والحفيد الملازمة، ومما يشعر بطول الملازمة لفظ أداء الحفيد عن جده، إذ أكثره أخبرني جدي.

٣. سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان سعيد بن عمرو ممن يجلس في حلقة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما أفادت رواية أحمد الصحيحة[٢١] " **قَالَ مَرْوَانُ وَهُوَ مَعَنَا فِي الْحَلْقَةِ** " وهو مدني، وكذلك أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا مشعر بأنه كان يلازم حلقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي يبدو للباحث أنه لا يزل عن الطبقة الأولى، لكن في أخر من يذكر فيها.

والخلاصة أنَّ شرط البخاري قد تحقق في هذا الحديث، من حيث ألفاظ التلقي والأداء، إذ كلها من التصريح بالسماع، ومن حيث انتقاء الرواة، فأكثرهم ممن لازم شيخه، وإنْ كان في آخر الملازمين، والله تعالى أعلم.

تاسعًا: سبب إيراد الحديث:

روى أحمد بسند حسن[٢٢] قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، (يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ) أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكٍ، أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ أَرْسَلَ مَعَهُ إِلَى مَرْوَانَ بِكِسْوَةٍ، فَقَالَ مَرْوَانُ: انْظُرُوا مَنْ تَرَوْنَ بِالْبَابِ؟

قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ.

فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدِّثْنَا بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

---

[٢١] رواه أحمد رقم: ٨١٠٥.

[٢٢] المسند ٢/٥٢٠ الطبعة الميمنية.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ:" **لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ وُلُّوا هَذَا الأَمْرَ أَنَّهُمْ خَرُّوا مِنَ الثُّرَيَّـدِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُوا شَيْئًا**".

قَالَ: زِدْنَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" **يَجْرِي هَلاكُ هَـذِهِ الأُمَّةِ عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**".

فقد بينت رواية أحمد رحمه الله سبب إيراد الحديث.

وثمة مسألة جديرة بالتسجيل هنا وهي: أن راوي الحديث عن أبي هريـــرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (سعيدَ بنَ عمرو) من أبناء الأشدق (عمرو بن سعيد) الذي خـــرج على عبد الملك بن مروان بعد سنة سبعين، فقتله عبد الملك غدراً بعد أن تصالحا[٢٣].

عاشرًا: المطابقة بين الترجمة والحديث:

قال أبو حفص؛ عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن المُلَقِّن في كتابه المفيد الإعلام بفوائد عمدة الأحكام[٢٤]:" أكثر التراجم الـــتي يـــترجم بهـــا

---

[٢٣] انظر في ذلك مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٩/٢١٤.

[٢٤] قال أستاذي بكر بن عبد الله أبو زيد في وصف كتاب الإعلام بفوائد عمدة الأحكام كلامًا حسنًا، رأيـــت أن أنقله بحروفه المباركة، رجاء أن ينتفع بها طلبة العلم، قال أستاذي:" هـــذان عالمـــان محدِّثـــان، حافظـــان، مشرقيان، بَيْنَ وفاتيهما قرنان من الزمان، وأربعة أعوام؛ أحدهما: دمشقي حنبلي، هو الحـــافظ عبـــد الغـــني المقدسي المتوفى سنة: ٦٠٠، والثاني: مصري شافعي، هو الحافظ أبو حفص عمر بن علي ابن المُلَقِّن المتوفى سنة ٨٠٤، توافرت همتهما على خدمة هذه الشريعة المباركة في ينبوعها الحديثي، فالأول هنا مـــاتنٌ في كتابـــه:" عمدة الأحكام فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم" إذ جمع فيه (٤٢٧) حديثًا، رتبها على أبواب الفقـــه، وفق ترتيب الحنابلة، ولعله أول من نزع إلى هذا النوع من التخريج، المجرد عن الأسانيد، المقتصر على أحـــاديث من الصحيحين في أحكام أفعال العبيد، ثم قفَّاه الناس بالتأليف على منواله، وتنافس الأعلام على شرح كتابـــه، وكانت الالتفاتة بتصحيح ألفاظه، وعزوه، من نصيب العلامة الزركشي، وهذا الحافظ رحمة الله عليه، صـــاحب مبادرات موفقه، حديثية جليلة، ولو لم يكن منها إلا أنه أول من ألَّف في رجال الكتـــب الســـتة مجتمعـــين في

أصحاب التصانيف على الأحاديث، إشارةً إلى المعاني المستنبطة منها، على **ثلاث مراتب: منها ما هو ظاهر في الدلالة** على المعنى المراد، **ومنها ما هو خفي الدلالة على المراد** بعيد مستكره لا يتمشى إلا بتعسف، **ومنها ما هو ظاهر الدلالة على المعنى المراد إلا أن فائدته قليلة** لا تكاد تستحسن"[٢٥].

وقد ترجم الإمام البخاري حديثنا هنا بقوله:" بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ".

كما ترجمه حين أورده في كتاب المناقب بقوله:" باب علامات النبوة في الإسلام".

وأورده مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، وترجمه النووي فقال: " باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء"[٢٦].

وأخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا يكونُ في أمته من الفتن والحوادث، ذِكرُ الإخبار عمّن يكون هلاك أكثر هذه الأمة على أيديهم[٢٧].

قال ابن حجر في الفتح[٢٨]:" زاد البخاري في بعض النسخ لأبي ذَرٍ[٢٩]:" من

كتابه" الكمال ..." والناس بعده عليه عيال، والثاني: شارح له وهو ابن الملقن، أعجوبة عصره في كثرة تصانيفه، ومنها شرحه هذا" الإعلام بفوائد عمدة الأحكام" وهو شرح نفيس جدًا، حافل بالفوائد واللطائف، وتحرير الأحكام، وفَكِّ المبهم، وكشف المهمل، وقد نزع في العرض طريقة مفصلة، لم نرها في شروح من تقدمه". انظر الكتاب المجلد الأول ص: ب-ج.

[٢٥] انظر: الإعلام ٦٠٦/١.

[٢٦] صحيح مسلم ٢٢٣١/٤

[٢٧] الإحسان ١٠٧/١٥.

[٢٨] الفتح ٩/١٣.

قريش" و لم يقع لأكثرهم".

قال الباحث: لم أقف على هذه الزيادة في النسخة السلطانية، وهي مظنة وجودها.

وقال ابن حجر أيضًا:"وقد ذكره في الباب من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدون قوله" سُفَهَاء".

قال الباحث: قد أفاد البخاري كلمة" سُفَهَاء" من الروايات الأخرى عند أحمد[30] ولفظه:" عَنْ مَالِكِ بْنِ ظَالِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا الْقَاسِمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ:" **إِنَّ هَلَاكَ أُمَّتِي، أَوْ فَسَادَ أُمَّتِي، رُءُوسٌ أُمَرَاءُ، أُغَيْلِمَةٌ سُفَهَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ**".

قال الكرماني[31]:" لعله بوَّب ليستذكره فلم يتفق له، أو أشار إلى أنه ثبت في الجملة لكنه ليس بشرطه" قال ابن حجر معقبًا:" الثاني: هو المعتمد، وقد أكثر البخاري من هذا"[32].

قال العيني[33]:" قد ذكرنا أن لفظ" سفهاء" عند أحمد والنسائي".

قال الباحث: العيني ناقل عن ابن حجر، وفي انتقاض الاعتراض[34] ما يؤكد

---

[29] عبد بن أحمد الهروي يروي الصحيح عن المستملي وحمويه والكُشْمِهَني، وله مستخرج على الصحيحين، اعتمد ابن حجر نسخته في شرح صحيح البخاري، قال ابن حجر:" فليقع الشرح الآن والاقتصار على أتقن الروايات عندنا، وهي رواية أبي ذر عن مشايخه الثلاثة، لضبطه لها، وتميزه لاختلاف سياقها، مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها" انظر الفتح ٧/١ ولد أبو ذر الهروي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ووفاته سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، أنظر: سير أعلام النبلاء ٥٥٤/١٧.

[30] رواه أحمد رقم:٧٤١٩ بإسناد حسن.

[31] نقلته عن الحافظ ابن حجر في الفتح٩/١٣ وهو ناقل عن الكرماني.

[32] الفتح ٩/١٣.

[33] في عمدة القاري ٦٢/٢٠.

ذلك، وإن لم يأتي على هذا الموضع، **والمطابقة ظاهرة بين الحديث والترجمة**، ولما كان الغلمة من قريش، وهم مَظِنَّة حماية الدين وأهله، وكان الهلاك على أيديهم، كانوا بعملهم هذا سفهاء.

حادي عشر: اللغة وغريب اللفظ:

قوله:" كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

قال ابن حَجَر: كان ذلك زمن معاوية رضي الله عنه.

وقد تولى الخلافة منذ سنة أربعين حتى سنة ستين.

قوله:" بِالْمَدِينَةِ" يعني: مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، زادها الله شرفاً وعلواً، وكان اسمها يثرب، فكره النبي صلى الله عليه وسلم، اسم يثرب، وسمّاها المدينة، لما يحمل اسم يثرب من معاني التثريب والتعنيف، وكان المسلمون لا يذكرونها إلا باسمها الجديد " الْمَدِينَة".

ولم يرد اسم يثرب في القرآن غير مرة واحدة على لسان المنافقين ﴿**وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**﴾[٣٥] فكأنهم عبّروا عن أمانيهم واشتياقهم للاسم القديم، والدين القديم، والعياذ بالله.

كما روى أبو هريرة خبر استشهاد خُبيب الأنصاري فقال:"فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنْ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ"[٣٦].

فروى أبو هريرة الخبر بدقة متناهية؛ إذ أورد لفظ" **المدينة**" حين كان

---

[٣٤] انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري، مجلدان رد فيهما الحافظ ابن حجر على العيني في تعقبه له في العمدة.

[٣٥] الأحزاب: الآية ١٣

[٣٦] البخاري ٣/١١٠٨ الحديث رقم: ٢٨٨٠.

القول قوله" المدينة"، ولَّما حكى كلام المشركين أثبت قولهم كما ورد:" يثرب".

قوله:" وَمَعَنَا مَرْوَانُ" هو: مروان بن الحكم بن أبي العاص، مولده بمكة، وهو أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر، وقيل له رؤية، وذلك محتمل، روى عن كبار الصحابة، وعنه كثيرون، كان كاتب ابن عمه عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولي المدينة غير مرة لمعاوية، استولى على مصر والشام، مات أول رمضان سنة خمس وستين[٣٧].

قال الباحث: كان مجلس أبي هريرة هذا قبل تولى مروان المناصب، وذلك كما في رواية أحمد الصحيحة[٣٨]" **قَالَ مَرْوَانُ وَهُوَ مَعَنَا فِي الْحَلْقَةِ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ شَيْئًا**".

قوله:" سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ"

روى أحمد رحمه الله بسنده عن عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: وَكَانَ يَبْتَدِئُ حَدِيثَهُ بِأَنْ يَقُولَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَبُو الْقَاسِمِ؛ **الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ** فذكر حديثًا غير حديثنا هذا[٣٩].

وصيغة الأداء هنا غير مألوفة من أبي هريرة رضي الله عنه، وهي قليلة عنه وعن الصحابة، رضي الله عنهم، فما وقفت عليها إلا عنده، وعند ابن مسعود، وأبي ذر، على قلة منهم جميعاً رضي الله عنهم.

فما السبب الذي جعله يؤدي الحديث بهذه الصيغة؟

الجواب: أنّ أبا هريرة رضي الله عنه أراد أن يؤكد الخبر فأورده بهذه الصيغة التي تزيده تأكيداً، ولعله أراد أن ينسب الخبر للنبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

[٣٧] انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٤٧٦.

[٣٨] أحمد رقم:٨١٠٥.

[٣٩] مسند أحمد رقم: ٩٠٨٦ بإسناد حسن.

حتى لا يتهمه أحد بذم قريش، ومعلوم أن أبا هريرة ليس قرشياً.

قال ابن حَجَر: وقد وقع في رواية عبد الصمد [٤٠] أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وفي رواية أخرى:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم" [٤١].

قوله:" **هَلَكَةُ** " قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة [٤٢]:" الهاء واللام والكاف، أصل يدل على كسر وسقوط، منه الهلاك: السقوط، ولذلك يقال للميت: هلك، والأرض الهَلَكون: الجدبة، والهَلَك: الشيء الهالك.

وورد الهلاك في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: افتقاد الشيء ومنه الآية:﴿**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه**﴾[٤٣] أي: افتقدته.

والثاني: هلاك الشيء باستحالةٍ وفساد، ومنه الآية:﴿ **وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾[٤٤].

والثالث: الموت، ومنه الآية:﴿ **إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ**﴾[٤٥].

وقد تكرر ورود الكلمة في الحديث مرات بمعانٍ لا تبتعد عن معنى ورودها في القرآن.

منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:" **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ**

---

[٤٠] عبد الصمد بن محمد بن بن عبد الله بن خُيُّويه، إمام حافظ رحال نحوي، له مستخرج على" صحيح البخاري" وهو مصدر مقارنة ابن حجر ألفاظه مع ألفاظ البخاري، توفي رحمه الله بالدِّينَوَر سنة ثمان وستين وثلاث مئة، انظر: تاريخ بغداد ٤٢/١١ وسير أعلام النبلاء ٢٩٠/١٦.

[٤١] الفتح لابن حَجَر ١٢/١٣.

[٤٢] معجم مقاييس اللغة ٦٣/٦.

[٤٣] الحاقة: الآية ٢٩

[٤٤] البقرة: الآية ٢٠٥

[٤٥] النساء: الآية ١٧٦

النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ"[٤٦] بضم الكاف أي: أكثرهم هلاكاً، وبالفتح "**أَهْلَكَهُمْ**": هو الذي أهلكهم.

ومنه الحديث:" ما خالطت الصدقة مالاً إلا أهلكته"[٤٧] أي أفسدته .

والمعنى في حديثنا غير بعيد عن المعنى اللغوي ؛ فهلكة أمتي يعني إفساد صلاحها وذهاب عزها .

وقد جاء المراد بالهلاك مبينًا في حديث آخر لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه علي بن معبد[٤٨] وابن أبي شيبة من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه:" أعوذ بالله من إمارة الصبيان قالوا:وما إمارة الصبيان؟ قال:" **إن أطعتموهم هلكتم**(أي: في دينكم) وإن عصيتموهم أهلكوكم (أي: في دنياكم) بإزهاق النفس أو بإذهاب المال أو بهما" [٤٩].

---

[٤٦] رواه الإمام مسلم رحمه الله رقم: ٢٦٢٣ وفيه، قَالَ أَبُو إِسْحَقَ:" لا أَدْرِي أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ"، وقال النووي:" روي" **أَهْلَكُهُمْ**" على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، ويؤيده أنه جاء في رواية رويناها في حلية الأولياء في ترجمة سفيان الثوري:" فهو من أهلكهم" قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: الرفع أشهر، ومعناها أشدهم هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة، واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس، واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم، لأنه لا يعلم سر الله في خلقه.

[٤٧] رواه الحميدي ١١٥/١ رقم:٢٣٧ بإسناد ضعيف، وكذلك حاله حيث أخرجه الأئمة؛ إذ مداره على محمد بن عثمان بن صفوان الجمحي، ضعيف، انظر أيضًا: مجمع الزوائد ٦٤/٣ وفيه:" رواه البزار وفيه عثمان بن عبد الرحمن الجمحي، قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به".

[٤٨] علي بن مَعْبَد بن شداد العَبْدِي الرَّقِّي، إمام حافظ فقيه، يُكْنَى أبا الحسن، وأبا محمد، نزيل مصر، من كبار الأئمة، روى عن محمد بن الحسن، تلميذ أبي حنيفة، كتابه" الجامع الكبير" و" الجامع الصغير" توفي رحمه الله بمصر سنة ثمان عشرة ومائتين، انظر: سير أعلام النبلاء ٦٣٢/١٠.

[٤٩] قاله ابن بطال علي بن خلف (ت: ٤٤٩هـ) في كتابه شرح البخاري (مخطوط) ونقله عنه ابن حَجَر في الفتح ١٢/١٣ وسكت عنه، وسكوته تحسين، كما نص في هدي الساري ص:٥.

قال ابن حَجَر: وقع في رواية المكي[٥٠]:" هلاك أمتي" وهو المطابق لما في الترجمة ، وفي رواية عبد الصمد:" هلاك هذه الأمة ".

قال الباحث: جاء في رواية للبخاري:" يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ[٥١] ولمسلم:" يُهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ"[٥٢] ولأحمد بسند حسن[٥٣]" إِنَّ هَلاكَ الْعَرَبِ".

قال العيني:" إذا كان الهلكة بمعنى الهلاك يحصل المطابقة"[٥٤].

قوله:" أمتي" قال ابن فارس في معجم مقايسة[٥٥]: الهمزة والميم أصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب وهي: الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهي متقاربةٌ؛ فالأم الواحدة وجمعها أمهات، وأمات وهي الوالدة القريبة التي ولدتك، والبعيدة التي ولدت من ولدتك، ومنه قولنا: أمنا حواء .

وقال الراغب[٥٦]:" الأُمَّة كل جماعة؛ يجمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو مكان واحد، أو زمان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو اختيارًا، وجمعها أمم.

وفي الآية:﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ

---

[٥٠] لم يقف الباحث على المعني بالمكي هنا، ووجدت الحافظ ابن حجر يذكر رواية يوسف المكي في الفتح مرتين فقط ١١/ ٤٨٠ و٤٨٤ في شرح الحديث رقم:٦٥٩٤.

[٥١] البخاري رقم: ٣٦٠٥.

[٥٢] مسلم رقم: ٢٩١٧.

[٥٣] رواه أحمد رقم:٢٧٨٤٤.

[٥٤] عمدة القاري ٢٠/٦٢

[٥٥] معجم مقاييس اللغة ١/٢١.

[٥٦] مفردات ألفاظ القرآن ٨٦.

أَمْثَالُكُمَ ﴾[٥٧] أي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع.

ومنه الآية:﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[٥٨] أي صنفًا واحدًا وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر، وفي الآية الأخرى:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾[٥٩] أي جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم.

أما قولهم كما حكى القرآن عنهم:﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾[٦٠] فمعناها على دين. وقوله تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾[٦١] أي قائمًا مقام جماعة في عبادة الله وذلك كقولهم: فلان في نفسه قبيلة.

وفي حديث مصالحة اليهود:" إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين"[٦٢] يريد أنهم بالمصالحة التي وقعت بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم، كلمتهم وأيديهم واحدة" وفي الحديث:" لَوْلا أَنَّ الْكِلابَ أُمَّةٌ مِنْ الأُمَمِ لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا"[٦٣] والمعنى أن كل جيل من الناس والحيوان أمة.

والمعنى المقصود في الحديث غير بعد عن المعاني السابقة؛ فالأمة الجماعة المسلمة ذات الدين الواحد ، القانتة المؤمنة.

وهل المقصود مطلق الأمة في كل عصر أم قصد به المخاطبون به؟

---

[٥٧] الأنعام: الآية ٣٨

[٥٨] البقرة: الآية ٢١٣

[٥٩] آل عمران: الآية ١٠٤

[٦٠] الزخرف: الآية ٢٢

[٦١] النحل: الآية ١٢٠

[٦٢] هذا النص من خبر الوثيقة المشهورة التي رواها ابن إسحاق بلا إسناد، وهي بجملتها بهذا الشكل ضعيفة، لكن وَرَدَ منها مقاطع في الصحاح وغيرها مقبولة، ليس منها هذا النص، انظر الوثيقة تامة كاملة في سيرة ابن هشام٢/١٤٧-١٥٠.

[٦٣] رواه الترمذي رقم: ١٤٨٦ وقال: حديث حسن صحيح، قال الباحث: هو صحيح.

قال ابن حَجَر في الفتح:" المراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر ومن قلوهم لا جميع الأمة إلى يوم القيامة" وكذا قال العيني في العمدة.

قال مُلاَّ علي القاري في المرقاة [٦٤]:" المراد بالأمة هنا الصحابة لأنهم خيار الأمة وكبار الأئمة".

والذي يبدو للناظر أن تخصيص النص بالمخاطبين به فحسب بعيد؛ إذ العبرة بعموم اللفظ، وتدل رواية أحمد على عدم التخصيص بذلك الزمن"**يَجْرِي هَلاكُ** "وهي تفيد التجدد والاستمرار، والله تعالى أعلم.

وإضافة الأمة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إضافة تشريف.

قوله:"**عَلَى يَدَىْ** " كذا للأكثر بالتثنية، وفي رواية السرخسي عن الفِرَبْرِي، والكُشْمِيهَنِي عنه أيضًا:" أَيْدِي"، قاله الحافظ في الفتح، قال الباحث: أشار اليُونِيْنِيُّ كما في السلطانية [٦٥] إلى أنها رواية الحموي والكُشْمِيهَنِي وأبي ذر الهروي عن الكُشْمِيهَنِي، ووقع في رواية صحيحة عند أحمد" على يد غلمة"[٦٦] وعنده [٦٧] في رواية صحيحة أيضًا:" بِيَدَيْ فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ" واليد الجارحة، لكن المقصود هنا الفعل لا الجارحة، والمعنى بسبب هؤلاء الولاة وبسبب أمرهم لا مباشرتهم فحسب.

قوله: "**غِلْمَة**" قال ابن فارس [٦٨] الغين واللام والميم أصل صحيح يدل على حداثة وهَيْجِ شهوة؛ منه الغلام وهو الطارُّ الشارب، وهو بَيِّنُ الغُلومية والغُلُومة، والجمع غِلْمَةٌ وغِلْمان، والغَيْلَم: الجارية الحَدَثَة، والشابُّ.

---

[٦٤] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦٦/٩.

[٦٥] جزء٩/٦٠.

[٦٦] أحمد رقم: ٨١٠٥.

[٦٧] رواه أحمد رقم: ٢٧٨٦٦.

[٦٨] معجم مقاييس اللغة ص:٨١٢ من طبعة المجلد الواحد.

قال الراغب[٦٩]: اغتلم الغلام؛ إذا بلغ حَدَّ الغُلومةِ، ولما كان من بلغ هـذا الحد كثيراً ما يغلب عليه الشَّبَقُ؛ قيل للشبق غِلْمَةٌ.

وفي الآيات:﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾[٧٠] وفي وصف يوسف عليه السلام، قوله تعالى:﴿ هَذَا غُلَامٌ ﴾[٧١].

قال ابن حَجَر في الفتح: يقال للصبي حيث يولد إلى أن يحتلم غلام، وقد يطلق على الرجل المستحكم القوة؛ غلام تشبيها له بالغلام في قوته[٧٢] والمقصود بالغلمة: ضعف العقل والتدبير والدين ولو كان محتلمًا، فإنَّ الخلفاء من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ، كذلك من أمروه على الأعمال، إلا أنْ يكون المراد بالأغَيْلِمَة أولاد بعض من استخلف، فوقع الفساد بسببهم فنسب إليهم، والأولى الحمل على أعم من ذلك.

قال القاري في المرقاة[٧٣]: الشبانُ الذين ما وصلوا إلى مرتبة كمال العقل، والأحداثُ السنِّ الذين لا مبالاة لهم بأصحاب الوقار وأرباب النهى، والظاهر أن المراد ما وقع بين عثمان رضي الله عنه، وقتلته، وبين علي والحسن ومن قاتلهم، ولعله أريد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين مثل: يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهما.

وورد في رواية أحمد والنسائي وصف الغلمان بالسفه:" أُغَيْلِمة سفهاء".

---

[٦٩] المفردات ص: ٦٣١

[٧٠] الكهف: الآية ٨٠

[٧١] يوسف: الآية ١٩

[٧٢] قالت المرأة في وصف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: غلام إذا شد القناة فتاها، أي في قوته وبأسه.

[٧٣] المرقاة ٩/٢٦٦

وأصل مادة سفه[٧٤] يدل على خفة وسخافة وطيش، فالسفه ضد الحلم،والزمام السفيه: كثير الاضطراب، والثوب السفيه: رديء النسج.

ووردت الكلمة في القرآن في معان من نفس الدلالة:

منها قوله تعالى﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ﴾[٧٥] أي: الذين لا عقل لهم ولا دين، والمعنى في الحديث: ضعف العقل والتدبير والدين.

قوله: " **من قريش** " القبيلة العربية المعروفة التي ينتهي إليها نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان موطنها مكة المكرمة [٧٦].

قوله: " **فقال مروان** " هو ابن الحكم وقد سبق ذكره وتعريفه.

قوله: " **لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً**" اللعن وارد في الكتاب والسنة، ويدل أصل وضع الكلمة على إبعاد وإطراد، ولعن الله الشيطان أبعده عن الجنة، ورجل لُعَنَةٌ: يلعنه الناس ورجل لُعَنَةٌ: كثير اللعن، وقوله:" **غِلْمَةً**" منصوب على الاختصاص.

قال الباحث: وقع في رواية أحمد بسند حسن[٧٧] **فَقَالَ مَرْوَانُ: بِئْسَ الْغِلْمَةُ أُولَئِكَ**".

قال ابن حَجَر:" في رواية عبد الصمد:" **لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أُغَيْلِمَةٍ**" وهذه الرواية تفسر المراد بقوله في رواية المكي:" فقال مروان: غلمة" كذا اقتصر على هذه الكلمة فدلت رواية الباب أنها مختصرة من قوله:" لعنة الله عليهم غلمةً" فكان التقدير: غلمة عليهم لعنة الله، أو ملعونون أو نحو ذلك، و لم يرد التعجب ولا الاستثبات ، يعني التثبت من كونهم غلمة.

---

[٧٤] معجم مقاييس اللغة ٣/٧٩

[٧٥] البقرة: الآية ١٤٢

[٧٦] ابن قدامة ـ التبيين في أنساب القرشيين ص٥٥

[٧٧] رواه أحمد رقم:٢٧٨٤٤.

قال البدر العيني في العمدة [٧٨]:" والعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولده، فكأنَّ الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحجة عليهم لعلهم يتعظون".

قال ابن حَجَر في الفتح:" وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيه مقال، وبعضها جيد".

" **فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: بَنِي فُلانٍ وَبَنِي فُلانٍ لَفَعَلْتُ**".

قال ابن حَجَر:" وقع في رواية الإسماعيلي [٧٩]:" **من بني فلان وبني فلان**".

قال الباحث: ووقع في رواية ابن عساكر"**لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: بَنِي فُلانٍ وَفُلانٍ لَفَعَلْتُ**" وفي رواية للبخاري [٨٠]:" **إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ؛ بَنِي فُلانٍ وَبَنِي فُلانٍ**"، وفي رواية صحيحة لأحمد[٨١]" **قَالَ: وَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَشَاءُ أَقُولُ بَنُو فُلانٍ وَبَنُو فُلانٍ لَفَعَلْتُ** ".

قال الحافظ: كأنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعرف أسماءهم، وكان ذلك من الجراب الذي لم يحدث به".

قال الباحث: وهذا صحيح، فإن أبا هريرة قال في رواية البخاري الأخرى[٨٢]:" **إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ**" فكان يعرف أسماءهم، وقَصَدَ الحافظُ ابنُ حَجَر بالجراب؛ حديثَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:"**حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

---

[٧٨] عمدة القاري ٢٠/٦٣

[٧٩] الإمام الحافظ الحجة الفقيهن شيخ الإسلام، أبو بكر؛ أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي، صاحب" المستخرج" على" صحيح البخاري" توفي رحمه الله سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة.

[٨٠] صحيح البخاري رقم: ٣٦٠٥.

[٨١] أحمد رقم:٨١٠٥.

[٨٢] صحيح البخاري رقم: ٣٦٠٥.

وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ"[٨٣].

قال ابن حَجَر:" حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يُكْنِي عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم"[٨٤].

قوله:" فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي، القائل عمرو بن يحيى، وَجَدُّهُ سعيد بن عمرو.

وفي رواية أحمد الصحيحة[٨٥]" فَقُمْتُ أَخْرُجُ أَنَا مَعَ أَبِي وَجَدِّي إِلَى مَرْوَانَ بَعْدَمَا مُلِّكُوا، فَإِذَا هُمْ يُبَايِعُونَ الصِّبْيَانَ مِنْهُمْ، وَمَنْ يُبَايِعُ لَهُ وَهُوَ فِي خِرْقَةٍ، قَالَ لَنَا: هَلْ عَسَى أَصْحَابُكُمْ هَؤُلاءِ أَنْ يَكُونُوا الَّذِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ أَنَّ هَذِهِ الْمُلُوكَ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا".

قوله:" إِلَى بَنِي مَرْوَانَ" أي ابن الحكم الذي حضر رواية الحديث في الحلقة بالمسجد النبوي بالمدينة، ولعن الغلمة.

قوله:" حِينَ مَلَكُوا بِالشَّأْمِ" بضم الميم وكسر اللام وتشديدها عند أبي ذر الهروي، كذا بهامش السلطانية، تعزوه لهامش اليُونِيْنِيّة، ومتن السلطانية بفتح الميم واللام، كما أثبتها الباحث في المتن أول الحديث.

والشأم وتقرأ الشام بلا همز، وفيه لغة ثالثة شآم، وهو مذكر ويؤنث، والنسبة إليه شامي وشآم بالمد على فعال، وسمي الشام شامًا بشامات هناك؛ حمر وسود، وقيل: الشام جمع شامة، سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها ببعض فشبهت بالشامات.

---

[٨٣] صحيح البخاري كتاب العلم، باب حفظ العلم رقم: ١٢٠.

[٨٤] انظر فتح الباري ١/٢٨٨.

[٨٥] أحمد رقم: ٨١٠٥.

قال ابن حبان في صحيحه: أول الشام بالس، وآخره العريش، وحَدُّ الشام طولاً من العريش إلى الفرات، وقيل إلى بالس، وأما حده عرضًا فمن جبل طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم (المتوسط) وما يسامت ذلك من البلاد [٨٦].

وخص الشام بالذكر لأنها كانت مساكنهم من عهد معاوية وقد حكموا الشام وغيرها .

قوله:" فَإِذَا رَآهُمْ غِلْمَانًا أَحْدَاثًا" جمع حَدَث، وأصلها يدل على كون الشيء لم يكن والرجل الحدث: الطري السن.

قال ابن حَجَر: هذا يقوي الاحتمال الماضي، وأنَّ المرادَ أولاد من استخلف منهم .

قوله:" قَالَ لَنَا: عَسَى هَؤُلاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟" عَسَى، تفيد الرجاء والتمني.

قوله:" قُلْنَا" القائل أولاده وأتباعه ممن سمعه حين قال:" عَسَى هَؤُلاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟".

قال ابن حَجَر:" وهذا مشعرٌ بأن هذا القول صدر منه في أواخر دولة بني مروان؛ بحيث يمكن عمرو بن يحيى أن يسمع منه ذلك".

ثاني عشر: معنى الحديث:

يبين الحديث أن الصحابة كانوا يجلسون في المسجد النبوي، وكان التابعون يلتفون حول الصحابة للاستماع إليهم والانتهال من معينهم الرقراق.

ويرى أبو هريرة في الحضور مروان بن الحكم، فيتذكر لرؤيته حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هلاك الأمة، فيروي أبو هريرة الخبر السابق؛ الذي يؤكد

---

[٨٦] ابن حبان في صحيحه ٢٩٥/١٦ والسمعاني في الأنساب ٢٦٨/١

أن لقريش دوراً في إهلاك الأمة وتدميرها، وأن الأمراء الصبيان الذين يحكمهم السفه، وقلة العلم، وندرة الحكمة، سيكونون سبب هذا البلاء، وتبلغ الحماسة بمروان مبلغها فيلعن هؤلاء الغلمة ويسبهم فيعلن أبو هريرة قدرته على ذكر أسماء هؤلاء السفهاء.

وحين كان الراوي عن أبي هريرة يزور الشام مع حفدته وتلامذته كان يقول لهم: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، وإنما لم يكن يقطع بأنهم منهم لأن أبا هريرة لم يكن أخبره بخبرهم وأسمائهم.

وكان أبو هريرة يتكتم على أسماء أولئك الأمراء خوفًا على نفسه منهم، ولئلا يكون سببًا في التحريض على أولئك النفر، وسيأتي بيان جواز كتم الأخبار التي يُخَاف من نشرها سوء العاقبة.

ثالث عشر: المشكل في هذا الحديث.

المُشْكِلُ: الذي لا يُدْرَى معناه في الغالب.

والمختلف: الذي يتعارض مع حديث آخر.

وقع في حديث الباب إشكالان:

الأول: تكتم أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على اسماء هؤلاء الغلمة، خوفًا على نفسه منهم، كما في حديثه" **لَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ**".

وقد سبق قول ابن حَجَر" حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم " وكيف يخاف على نفسه منهم، في حين يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عباس الصحيح[٨٧]:" سيد الشهداء

---

[٨٧] رواه أبو حنيفة في المسند ص١٨٤.

يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ثم كل رجل دخل على إمام جائر فأمره ونهاه".

أما الأشكال الثاني: فهو كون الحديث يذم قريشًا بينا نجد أحاديث أخرى تذكر فضل قريش وتأمر باتباعها.

والجواب عن الإشكال الأول من خمسة وجوه:

الوجه الأول: أنّ لأبي هريرة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قدوة في تركه ذكر أسماء هؤلاء الأمراء السفهاء، فإنّ سيدنا النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لم يكن يعلن أسماءهم للناس، وقد كَرِه حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنْ يذكر اسم أحد من المنافقين ممن أخبره بهم النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وأقسم لعمر ألا يبريء أحداً بعده[٨٨] فهي سنة السلف الصالح إذن.

الوجه الثاني: أن أبا هريرة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ لم يعش حتى ذلك الزمن الذي ظهر فيه أولئك الأمراء، ولعله لو عاش فعل.

الوجه الثالث: لعل أبا هريرة أسَرَّ بالحديث إلى أحد التابعين، فتكتم التابعي أو أشار، ولنا ما يؤكد هذا الرأي من هذا الحديث نفسه، فإنّ راوي الحديث كان يقول:" **عَسَى هَؤُلاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟**"، وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى هذا فقال:" يحتمل أن يكون أبو هريرة أملى حديثه على من يثق به فكتبه له وتركه عنده"[٨٩] والله تعالى أعلم.

الوجه الرابع: أنه لا يجب على العالم أن يحدث بكل ما علم، فله أن يراعي في ذلك أحوالا كثيرة مما يقتضيه المقام، وقد أشار الحافظ[٩٠] إلى هذا الأمر، فلعله لو حدث به أنكر" ذلك من لم يألفه، واعترض عليه من لا شعور له به".

---

[٨٨] انظر الخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٥٣/٣

[٨٩] الفتح ٢٨٨/١.

[٩٠] الفتح ٢٨٨/١.

ثم يبقى للداعية أن يتكلم حين يكون الكلام ذا فائدة ترتجى، وثمرة تجتنى، لا بل قد يصمت عن كلمة حق في وجه طاغية، ودلالة ما وقع يوم أحد من عدم إجابة النبي والصحابة لأبي سفيان بيّنة فقد تحدى أبو سفيان المسلمين وأشرف قائلاً:"أفي القوم محمد فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"**لا تجيبوه**" فقال:" أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال:" **لا تجيبوه**" فقال" أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال:" إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا" [٩١].

الوجه الخامس: أنه لا يعيب أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خوفه من الحكام الظلمة، وقد خاف إبراهيم عليه السلام، وخاف موسى عليه السلام كما حكى القرآن عنه فقال:﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي**﴾[٩٢] بل تعلل موسى عليه السلام بالخوف فقال:﴿ **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ** ﴾[٩٣] وخاف سيدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صح ذلك عنه بقوله:" **لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ**"[٩٤].

وتروي كتب السنة خوف الراهب معلم غلام أصحاب الأخدود فقال:" أي بني؛ إنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي"، وفي الخبر نفسه خُدَّ الأخدود للناس وجعلوا يتقحمونه:" حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها"[٩٥] وقد روى البخاري خبر بدء الوحي وفيه:" فرجع بها رسول الله صلى الله

---

[٩١] رواه البخاري كما في الفتح ٤٤٦/٧ ورقمه ٤٠٤٣.

[٩٢] الشعراء: الآية ١٤

[٩٣] الشعراء: الآية ٢١

[٩٤] رواه الترمذي رقم:٢٤٧٢ قال أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قال الباحث: وهو كما قال رحمه الله.

[٩٥] رواه مسلم ح٣٠٠٥

عليه وسلم يرجف فؤاده" وفي لفظ آخر: ترجف بوادره"[٩٦].

فالخوف الجِبِلِّيُّ لا يكاد يسلم منه أحد.

أما الإشكال الثاني فيدفعه أمران:

الأمر الأول: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا باتباع قريش في الخير، وحاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأمر باتباعها في الشر، يدل على ذلك حديث البخاري عن معاوية:"**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ**" وأحمد الصحيح[٩٧] عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **اسْتَقِيمُوا لِقُرَيْشٍ مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ**" فالأمر بطاعتهم، والسماع لهم، مشروط بما ذكر الحديث.

ولما كان الشر واقعًا منهم حذرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شرورهم بمثل هذا الحديث، وأمرنا باعتزالهم.

الأمر الثاني: ذهب بعض العلماء وعلى رأسهم عبد الرحمن بن خلدون إلى أن الأمر الوارد باتباع قري وتقديمها لا يعني تقديم قريش لذاتها، وإنما يقصد به تقديمها لقوتها ومكانتها في إلف العرب الإلتفاف حولها، وحين تضعف قريش أو تخون أو يعلوا سفهاؤها فإن الأولى ترك تقديمها لذهاب علة التقديم[٩٨].

رابع عشر: أحكام الحديث.

في حديثنا ثلاثة أحكام رئيسة:

الأول: حكم التحديث بالفتن والغرائب.

---

[٩٦] رواه البخاري وهو الحديث الثالث في صحيح الفتح ٣٢/١

[٩٧] رواه أحمد رقم: ٢١٨٨٣.

[٩٨] مقدمة ابن خلدون ص٢٤٤

والثاني: حكم اللعن.

والثالث: حكم كتمان العلم.

الحكم الأول: دل الحديث على جواز التحدث بأحاديث الفتن، سواءً حدث الناس بعامة، أو اختص لحديثه من يشاء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد اختص أبا هريرة في هذا الحديث، كما روى أبو هريرة الحديث للناس في المسجد وفي دار مروان بن الحكم كما سبق في فقرة سبب إيراد الحديث.

ويشترط الباحث لذلك أمورًا أربعة:

الأول: أن لا يؤجج التحديث بالفتن الفتنة بين الناس.

الثاني: ألا يثير الشهوات، فقد تكون الفتنة مما يتصل بفتن النساء، فيحمد للمحدث أن يرويها دون مسٍ بالأسماء والأعراض، ولنا في قصة سيدنا يوسف أسوة حسنة؛ فقد عرض القرآن لمحنته عليه السلام وبينها، لكنك لن تجد في عرض القرآن للحادثة ما يمس الحياء، بله أن يخدشه، لا بل لم يتعرض حتى لاسم المرأة بذكر أو بيان.

الثالث: أن يكون عرض المحنة ضمن منهج تربوي يدفع بالأمة قدما نحو النصر والتمكين، فلا يكون العرض مخيفًا محبطًا يقعد بالقائمين، فكم من محنة عرض الكتاب الكريم لذكرها؛ فكانت تدفع بالناس نحو الإيمان والنصر والتثبيت، ولله در المنهج النبوي في ذلك إذ يعرض لخَبَّاب حديث أمشاط الحديد التي تمشط لحم المؤمن عن عظمه، فلا يكاد يتمه حتى يبين له أن الله سيتم هذا الدين، وأن الراكب سينطلق آمناً من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه.

فكان المنهج الإسلامي في عرض أحاديث الفتن وأخبار المحن منهج بناء واستعلاء وتثبيت، شأنه شأن من يصف الطريق اللاحب الموصل إلى الغاية، غير أنه يبين ما في الطريق من عقبات قد تؤخر أو تعيق لكنها لا توقف الزحف ولا

تعصف بالمسير.

الرابع: أن يذكر المحدث حديثه محفوفًا بالقرائن التي تعين على التسليم والتصديق، كما فعل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الحديث، فعرضه بصيغة أداء لم تكن مألوفة عنده، سمعت الصادق المصدوق.

الحكم الثاني: حكم اللعن.

وقع في الحديث لعن مروان لأولئك الغلمة، ولعن غير المعين من الظالمين ونحوهم جائز باتفاق أهل العلم، وقد ذكر ابن حَجَر في الفتح[99] جواز لعن العاصي إذا كان على وجه الإرهاب عليه لئلا يواقع الفعل، فإذا واقعه يدعى له بالتوبة والهداية، ثم قال: وقد ارتضى بعض مشايخنا ما ذُكر من جواز لعن العاصي المعين وفيه نظر، ويستدل من يحرم لعن المسلم بالحديث:" لعن المؤمن كقتله"[100] قال ابن حَجَر:[101] لأنه إذا لعنه فكأنه دعا عله بالهلاك.

ويجوز لعن الكافر المعين باتفاق، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم أنواعاً من أصحاب الذنوب مثل: آكل الربا والراشي والمرتشي وغيرهم

الحكم الثالث: حكم كتمان العلم.

لم يرد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث صحيح في كتمان العلم، وللعالم أن يحدث الناس بما يطيقون، وله أن يغرب في حديثه للخاصة، وقد يغرب فيه للعامة أيضًا، ويجوز كتمان العلم خوفًا من عدو ظالم أو حاكم لا يرحم.

ومراعاة الأحوال في ذلك سنة من سنن الصالحين، وتربية الناس على صغار المسائل مما يحسن العمل به فقد قال البخاري: يقال الرباني الذي يربي الناس بصغار

---

[99] ٣٦٨/٩ بتصرف يسير

[100] البخاري مع الفتح ٥١٤/١٠ ح٦١٠٥ جزء من حديث طويل

[101] الفتح ٤٦٧/١٠

العلم قبل كباره[١٠٢]، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله[١٠٣]، ومما ترجم البخاري: باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم وترجم أيضاً باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، وأورد في تلك الأبواب حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ:" من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة " قال: ألا أبشر الناس؟ قال: لا إني أخاف أن يتكلوا"[١٠٤]، وأورد فيه حديث النبي لعائشة:" لولا قومك حديثٌ عهدهم بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون"[١٠٥]

خامس عشر: اللطائف الدعوية والتربوية

قوله: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيه إشارة إلى فضل الجلوس في المساجد وفي حديث السبعة:" ورجل قلبه معلق بالمساجد" وقد كان الصحابة يكثرون الجلوس في المساجد لما ورد من فضل ذلك.

قوله: سمعت الصادق المصدوق بيان أدب كريم في نسبة هذا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيه صيغة أداء لم تكن معهودة عند أبي هريرة أو غيره من الصحابة، ويستفاد من ذلك ضرورة انتقاء الألفاظ المناسبة والهيئات الحسنة لكل أمر ذي بال، فالخبر الذي سيحدث به أبو هريرة خبر مستبعد مستغرب لا يكاد الناس يصدقونه فلذلك اتخذ له أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هيئة تتناسب معه؛ هيئة لغوية، كما كان من منهاج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إعطاء الخبر هيئته المناسبة مثل حديث" **أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا؟**" قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

[١٠٢] كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل ١/٣٧

[١٠٣] البخاري معلقا عن علي و لم يرفعه كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم ١/٥٩

[١٠٤] البخاري ١/٦٠ ح ١٣٦

[١٠٥] البخاري ١/٥٩ ح ١٣٦.

قَالَ:" **الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**" وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ:" **أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ**" قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ"[١٠٦].

وفي هذه الصيغة درس للأساتذة كي يعينوا طلابهم على الاستيعاب باستعمال الوسائل المعينة على الفهم والإدراك والتصديق.

قَوْلُهُ:" هَلَكَةُ أُمَّتِي" فيها تدريب الأستاذ طلابه على الواقعية، وفيه ضبط الأمور في نصابها فالحديث يحدثهم بأمر الهلكة وأن ذلك واقع لا محالة، ويصعب على مدرسة تعتمد التحليق بعيداً عن الواقع، أن تستمر في طريقها حين تتعثر بالحياة.

قَوْلُهُ:" فَقَالَ مَرْوَانُ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً!" إفساح مساحة للطالب حتى يقول ما بخاطره دون حَجْر عليه، وهذا باب في حرية الكلمة يحسن بالعلماء تدريب الطلبة عليه حتى لا ترهبهم عصا السلطان عن قول كلمة الحق، وفيها احتمال الأستاذ لتدخل الطالب في درسه.

قَوْلُهُ:" لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: بَنِي فُلانٍ وَبَنِي فُلانٍ لَفَعَلْتُ" فيه مراعاة مقتضى الحال، والتحديث بما يليق وعدم الاغترار في العلم، وفيه عدم إثارة الفتن بين الناس، وفيه التحديث بما يصدق حتى لا يكذب العلماء، قال علي:" حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله".

قَوْلُهُ:" عَسَى هَؤُلاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟" فيه من الأدب عدم القطع في الأمور المحتملة، وفيه تعليم الطلبة الدين وتبصيرهم بالظالمين وسبلهم.

وفيه تنزيل الحديث على الواقع، وأنه كلما كان اللفظ بعيدًا عن القطع كان أولى، فإنّ أبا هريرة لم يذكر أسماءهم، وكذلك فعل التابعي وقال: عسى،

---

[١٠٦] البخاري رقم:٢٦٥٤.

وهذا أدب في هذا الباب من العلم، يحسن عدم تجاوزه.

قَوْلُهُ:"قُلْنَا: أَنْتَ أَعْلَمُ" فيه تأدب الطالب مع أستاذه، ووقوفه عند حده والاعتراف لأستاذه بالعلم والفضل، وقد كان ذلك الخلق دأب الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ كانوا يقولون: الله ورسوله أعلم.

في قول الصحابة:" فَمَا تَأْمُرُنَا؟" وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ**" إشارة مهمة في مناصبة الظالمين العداء، وأن اعتزالهم عزٌّ وجاه، ورحم الله الإمام الشاطبي[١٠٧]، الذي يفر من بلاده إلى مصر، فيعيش فقيرًا بعيدًا، لئلا يعمل للسلطان، فعسى أنْ ينتفع بهذا الكلام المتسابقون إلى لقم السلطان والشيطان معًا، فينتبهون.

---

[١٠٧] أبو محمد، وأبو القاسم؛ القاسم بن فِيُّره بن خَلَف بن أحمد الرُّعَيْني الأندلسي الشاطبي الضرير، ناظم" الشاطبية" و" الرائية"، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، وتوفي بمصر سنة تسعين وخمس مئة، قال ابن العماد: ومعنى فِيُّره: الحديد.

وسبب انتقال الشاطبي من بلده أنه أريد على الخطابة، فاحتج بالحج، وترك بلده، و لم يعد إليه تورعًا مما كانوا يلزمون الخطباء من ذكرهم الأمراء بأوصاف لم يرها سائغة، وصبر على فقر شديد، رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يروي حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، **وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ**" أخرجه البخاري كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام رقم:٧١٩٩، وله رحمه الله شعر يقول فيه:

قل للأمير نصيحةً	لا تركنن إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى	أبوابكم لا خير فيه

انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ٢١/٢٦١ وتاريخ الإسلام٤٠/٣٨٣ وشذرات الذهب٦/٤٩٤.

الحديث الثاني

قال الإمام البخاري في كتاب الفتن:

بَابٌ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **سَتَكُونُ فِتَنٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**"[1].

أولاً: تخريج الحديث: رواه البخاري وكرره[2]، ومسلم[3]، وأحمد في مسنده[4] والطيالسي في المسند[5]، والبيهقي في السنن الكبرى[6] وابن حبان في التقاسيم والأنواع[7] وغيرهم.

وللحديث شواهد:

---

[1] رواه البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي، رقم:٧٠٨١و٧٠٨٢.

[2] فأورده هنا في كتاب الفتن في الموطنين المذكورين هنا، وأورده في كتاب المناقب رقم: ٣٦٠٢.

[3] مسلم كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَاب نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ، رقم ٢٨٨٦.

[4] وكرره منها ٧٧٣٧.

[5] مسند أبي داود الطيالسي رقم:٢٣٤٤.

[6] السنن الكبرى للبيهقي ١٩٠/٨:

[7] صحيح ابن حبان ٢٩١/١٣ رقم:٥٩٥٩.

١. عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه أحمد[٨] والترمذي[٩] بإسناد يحتمل التحسين.

٢. وعن وابصة بن معبد بن عتبة الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه أحمد بإسناد ضعيف[١٠].

٣. ونفسه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفس السياقة، والمصدر.

٤. وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم وغيره[١١].

٥. وعَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١٢].

ثانيًا: دراسة السند:

لحديثنا إسنادان.

الإسناد الأول:

مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ.

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ.

سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ.

أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الإسناد الثاني:

مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ.

---

[٨] مسند أحمد رقم:١٤٤٩.

[٩] سنن الترمذي رقم: ٢١٩٤.

[١٠] مسند أحمد رقم: ٤٢٧٤ وأبو داود رقم: ٤٢٥٦.

[١١] مسلم رقم: ٢٨٨٧.

[١٢] صحيح البخاري رقم: ٣٦٠٢.

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ.

صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ.

ابْنِ شِهَابٍ.

سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رواة الإسناد الأول:

مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بن محمد بن زيد بن أبي زيدٍ القرشي الأمـــوي، أبـــو ثابت المدني مولى عثمان بن عفان، ثقة[١٣].

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عـــوف الزهـــري، أبـــو إسحاق المدني، نزيل بغداد، ثقة حجة تُكُلِّمَ فيه بلا قادح مات سنة ١٨٥هـــ[١٤].

سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولي قضاء المدينة، وكان ثقـــة فاضلاً، عابداً، سنة ١٢٥ هـــ عن اثنين وسبعين سنة[١٥].

أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عوف، هذا اسمه وقيل: عبـــد الله، وقيـــل: إسماعيل وهو ثقة مكثر مات سنة ٩٤ هـــ وهو عَمُّ الذي قبله[١٦].

أبو هريرة: سبقت ترجمته في الحديث الأول.

الإسناد الثاني:

محمد بن عُبيد الله، سبقت ترجمته في رجال الإسناد الأول.

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، سبقت ترجمته في رجال الإسناد الأول.

---

[١٣] انظر: تهذيب الكمال ٢٦/٤٦.

[١٤] انظر: تهذيب الكمال ٢/٨٨.

[١٥] [illegible]

[١٦] [illegible]

صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ المدني، أبو محمد أو أبو الحارث؛ مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة ثبت فقيه مات بعد ١٣٠ هـ[١٧].

ابن شهاب: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن زهرة الزهري أبو بكر، فقيه حافظ، إمام مات سنة ١٢٥ هـ[١٨].

سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بن حَزْن بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائذ المخزومي، أحد علماء الأثبات الفقهاء الكبار، قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه مات بعد سنة تسعين[١٩].

أبو هريرة: سبقت ترجمته في الحديث الأول.

ثالثًا: لطائف السند.

الإسناد الأول:

١. فيه رواية الابن عن أبيه إبراهيم بن سعدٍ عن أبيه.

٢. فيه رواية ابن الأخ عن عمه سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

٣. فيه ثلاثة من نسل عبد الرحمن بن عوف.

٤. إسناده مدني.

٥. فيه رواية التابعي عن التابعي سعد عن أبي سلمة.

الإسناد الثاني:

١. إسناده مدني.

٢. فيه أربعة أئمةٍ فقهاء؛ وهم صالح، وابن شهاب، وسعيد، وأبو هريرة.

---

[١٧] انظر: تهذيب الكمال ١٣/٧٩.

[١٨] انظر: تهذيب الكمال ٢٦/٤١٩.

[١٩] انظر: تهذيب الكمال ١١/٦٦.

٣. فيه رواية التابعي عن التابعي ابن شهاب عن سعيد.

رابعًا: رحلة الحديث:

حديثنا مدني لم يرتحل فرواته جميعهم مدنيون، وقد أقام البخاري بالمدينة مدةً، وفيها أخذ الحديث عن شيخه.

خامسًا: شجرة الإسناد:

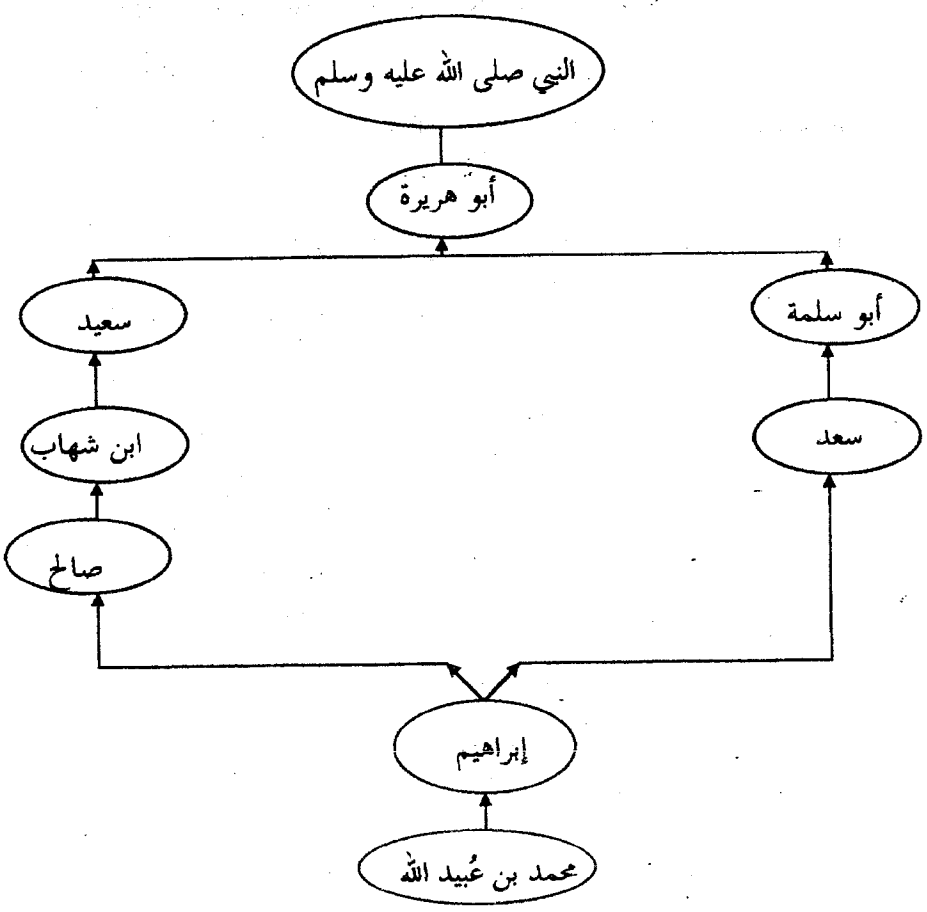

سادسًا: ألفاظ التلقي والأداء:

فيه التحديث بالجمع والإفراد، وفيه العنعنة، ومعلوم قبول عنعنة غير المدلس أو المرسل عند البخاري بشرط ثبوت اللقاء[٢٠].

وقد تحقق ذلك في إسناد حديثاً، وسوف يبين الباحث هذه المسألة عند مناقشة تحقق شرط البخاري في صحيحه.

سابعًا: مناهج المصنف في هذا الحديث:

١- الترجمة للحديث.

٢- تقديم الإسناد العالي على الإسناد النازل، فالسند الأول خماسي، والإسناد الثاني سداسي.

٣- فيه طلب أفضل صيغ الأداء وأحسنها، فروى حديث إبراهيم بن سعد الأول بالعنعنة، ثم روى حديثه الثاني بالتحديث.

٤- فيه الجمع بين الأسانيد اختصاراً.

٥- فيه تكرار الحديث لفائدتين:

الأولى: سوقه الحديث من طريق ابن شهاب عن شيخيه، أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وسعيد بن الْمُسَيَّبِ.

والثانية: إيراده الحديث من طريق صحابي آخر؛ فقد أخرجه عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مثل رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢١].

---

[٢٠] تقدم الكلام مفصلاً على العنعنة وأن الراجح أنها بمنزلة السماع، انظر.

[٢١] أخرجه البخاري في صحيحه برقم [ ] قال الإمام البخاري [ ] حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ ] وَحَدَّثَنِي [ ] وَحَدَّثَنِي [ ] وَحَدَّثَنِي [ ] وَحَدَّثَنِي [ ] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ ذَكْوَانَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامٍ عَنِ الأَسْوَدِ، عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ: مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا.

ثامنًا: التحقق من شرط البخاري في هذا الحديث.

أولاً: شرطه في ألفاظ التلقي والأداء.

يشترط البخاري لقبول رواية المعنعن أن يثبت لقاؤه بشـــيخه، بنـــص أو قرينة.

فمن النص مثلاً: قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ: جَلَسْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْـــرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ الْفِدْيَةِ"[٢٢].

والقرينة: قيام دليل يثبت اللقاء بين المعنعن وشيخه، كالغالب في روايـــة الأبناء عن الأباء، ونحوه بقية روايات القرابات، إلا بدليل يثبت عدم اللقاء.

ويختلف أهل العلم في شرط البخاري رحمه الله لقبول رواية المعنعن، فـــهل التزم البخاري ذلك في جامعه، أم أنه شرط الصحة عنده؟

يترجح لدى الحافظ ابن حجر رحمه الله أنّ البخاري رحمه الله يشترط ذلك في أصل الصحة لا في جامعه، قال:" ادعى بعضهم أنّ البخاري إنما التزم ذلـــك في جامعه لا في أصل الصحة، وأخطأ في هذه الدعوى، بل هذا شرط في أصل الصحة عند البخاري، فقد أكثر من تعليل الأحاديث في تاريخه بمجرد ذلك ... أنـــــه إذا ثبت اللقي ولو مرة، حملت عنعنة غير المدلس على السماع"[٢٣].

قال ابن الصلاح عن المعنعن:" عده بعض الناس من قبيل المرسل والمنقطع، حتى يتبين اتصاله بغيره، والصحيح الذي عليه العمل أنه من قبيل الإسناد المتصـــل، وإلى هذا ذهب الجماهير من أئمة الحديث وغيرهم ... وهذا بشـــرط أنْ الذيـــن

---

[٢٢] صحيح البخاري رقم: ١٨١٦.

[٢٣] النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر٢/٥٩٥-٥٩٦.

أضيفت العنعنة إليهم قد **ثبتت ملاقاة** بعضهم بعضًا، مع براءتهم من وصمة التدليس، فحينئذ يحمل على ظاهر الاتصال إلا أن يظهر خلاف ذلك"[٢٤].

واشتهر رد الإمام مسلم على شيخه البخاري في ذلك، وعلى شيخ شيخه علي بن المديني رحمة الله تعالى عليهم أجمعين[٢٥].

وثبت في حديثنا شرط الإمام البخاري في رجاله الذين عنعنوا، فقد وردت روايات صحيحة تثبت اللقاء بين المعنعن وشيخه، وهاكها:

رجال الإسناد الأول:

١. **إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عنْ أبيهِ**، ورد تصريحه بالسماع عند البخاري[٢٦] قال:حدثنا أبي.

٢. **سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيم عنْ أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ**، ورد تصريحه بالسماع عند البخاري[٢٧] قال: سمعت أبا سلمة.

٣. **أَبو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عن أبي هريرة**، ورد تصريحه بالسماع عند البخاري[٢٨] قال: حدثني أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رجال الإسناد الثاني:

١. **صالح بن كيسان عن ابن شهاب**، ورد تصريحه بالسماع عند البخاري[٢٩] قال:" أخبرني ابن شهاب".

---

[٢٤] مقدمة ابن الصلاح ص:٢٩ النوع الحادي عشر: معرفة المعضل.

[٢٥] انظر: رد الإمام مسلم في مقدمة صحيحه.

[٢٦] صحيح البخاري رقم: ٧٣٦١.

[٢٧] صحيح البخاري رقم: ٢٣٢٤.

[٢٨] صحيح البخاري رقم: ٢٤٣٤.

[٢٩] صحيح البخاري رقم: ٥٦٩.

٢. **ابن شهاب عن سعيد بن المسيب**، ورد تصريحه بالسماع عند البخاري[٣٠] قال:" أخبرني سعيد بن المسيب".

٣. **سعيد بن المسيب عن أبي هريرة**، ورد تصريحه بالسماع عند البخاري[٣١]:" أنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره".

ثانيًا: شرطه في انتقاء الرجال.

مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ في شيخه إِبْرَاهِيم بْنِ سَعْدٍ.

يترجح للباحث أنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، لم يكن من رجال الطبقة الأولى في شيخه، يدل على ذلك قلة روايته عن شيخه إِبْرَاهِيم بْنِ سَعْدٍ، فقد تجاوزت روايات إِبْرَاهِيم بْنِ سَعْدٍ خمس مئة رواية، ليس لمحمد فيها إلا ثلاثة أحاديث.

وعليه فهو من المنتقين من رجال الطبقة الثانية، لا سيما أنه" ثقة ثبت" عند الدارقطني، ثم إنَّه من شيوخ البخاري، ومعروف انتقاء البخاري في شيوخه.

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ في أَبِيهِ سَعْدِ بنِ إِبْرَاهِيمَ، أما أنه ثقة حجة، فعروف[٣٢]؛ وقد تقدم ذلك.

وتبقى طول الملازمة، والأصل وجودها بين الراوي وأبيه، فإذا تأيد ذلك بنص أو قرينة فقد ثبت الأمر.

لكن لم أقف على نص، وتبقى القرائن:

منها ذكر الحافظ ابن حجر إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ أول راو من رواة أبيه، قال:" روى عن أبيه"[٣٣].

---

[٣٠] صحيح البخاري رقم: ٦٤٩.

[٣١] صحيح البخاري رقم: ٩٣٤.

[٣٢] انظر: تهذيب التهذيب ١/١٤٤.

[٣٣] انظر: تهذيب التهذيب٣/٢٧٥.

ومنها عدد مرويات سعد بن إبراهيم، فقد بلغت نحو ثلاث مئة روايـــة، مرويات ولده إبراهيم بن سعد نحو ثلثها، وهذا مشعر بأنه من أكثر الرواة عنه.

وتوفي سعد بن إبراهيم سنة خمس وعشرين ومئة، ووفاة ولده إبراهيم سنة خمس وثمانين ومئة عن ثلاث وسبعين سنة، فوفاة سعد عن ولده وهو ابن ثـــلاث عشرة سنة، يعني أنه لازمه مدة سبع سنوات تقريبًا، وهذا يعد من الملازمة الطويلة، فهو من رجال الطبقة الأولى.

سَعْدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ في شيخه عمه أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يمكن أنْ يقـلل هنا ما ذكر عن رواية القرابات عن بعضها بعضًا، فرواية سعد عن عمه مشـــعرة بقوة الملازمة، لا سيما ذكر الحافظ ابن حجر أبا سلمة بن عبـــد الرحمـــن في أول شيوخ سعد.

وتزيد مرويات سعد عن أبي سلمة عن خمسين رواية، ومرويات أبي سلمة تتجاوز ألفي رواية، وهذا دليل على أنَّ سعدًا ممن انتقاه البخاري من رجال الطبقـة الثانية في شيخه أبي سلمة، والله تعالى أعلم.

أبو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، في شيخه أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يكفي أنْ أذكر هنا أنَّ مرويات أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْـــهُ تجاوزت ألف رواية، يعني أنها تتجاوز نصف مرويات أبي سلمة عن مجمل شيوخه.

ولَمَّا كانت الرواية في تلك الفترة لا تتم إلا بالقراءة على الشيخ، والعـرض عليه، وكتابة النص، فإن الباحث يقطع بأنَّ أبا سلمة بن عبد الرحمن من رجـــال الطبقة الأولى في أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويكتفي الباحث بالتحقق من شرط البخاري في رجال الإسناد الأول.

تاسعًا: سبب إيراد الحديث.

كلمة في سبب إيراد هذا الحديث.

كثر سؤال التابعين وأتباعهم للصحابة والتابعين حول الفتن، وموقف المسلم منها، فلذلك كانوا يحدثون بهذا الحديث ونحوه؛ ويدلنا على ذلك فعل عُثْمَان الشَّحَّامُ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَهُوَ فِي أَرْضِهِ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ؛ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**"

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلا غَنَمٌ وَلا أَرْضٌ؟ قَالَ:" **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**".

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ؛ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي، قَالَ:" **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**"[٣٤].

عاشرًا: الترجمة والمطابقة بينها وبين الحديث:

ترجمه البخاري في كتاب المناقب:" **باب علامات النبوة قبل الإسلام**" وفي كتاب الفتن باب:" **تكون فتنة القاعدة فيها خير من الماشي**"

وهو في صحيح مسلم من ترجمة النووي له:" **باب نزول الفتن كمواقع القَطر**" وترجمة البيهقي بقوله:" **باب النهي عن القتال في الفرقة، ومن ترك قتال الفئة الباغية؛ خوفاً من أن يكون قتالاً في الفرقة**".

---

[٣٤] رواه مسلم رقم: ٢٨٨٧.

وترجمة البغوي في شرح السنة[٣٥]:" **باب الاعتزال في الفتن**".

وترجمة ابن حبان في الإحسان[٣٦]:" **ذكر البيان بأن اختلاط الفتن بالمرء يكون على حسب استشرافه لها**".

وترجمة البخاري هنا ببعض لفظه، وأفرد" **فتنة**" إعمالاً لرواية المستملي وغيره، وهي بالإفراد، قال العيني:" مطابقته للترجمة ظاهرة".

حادي عشر: اللغة وغريب اللفظ:

قوله: ستكون: السين حرف تنفيس واستقبال، ولا يدخل إلا على الفعل المضارع، فيخلصه للاستقبال.

وتكون بمعنى توجد، والمعنى ستوجد فتن.

قوله: فتن: الفاء والتاء والنون أصل يدل على ابتلاء واختبار؛ من ذلك: الفتنة، يقال: فتنت افتن فتنًا، وفتنت الذهب بالنار إذا امتحنته، وهو مفتون وفتين والفتان الشيطان، يقال:فتنته وأفتنته، والقلب الفاتن يعني المفتون.

وقال الخليل بن أحمد: الفَتْنُ، الإحراق، والفتين المُحْرَق[٣٧].

وفي القرآن: ﴿**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾[٣٨] أي يحرقون، فأصل الفتن، إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، وقوله:﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا**﴾[٣٩] أي اختبرناك، وجُعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدةٍ ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً ومنه:﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ**

---

[٣٥] ترجمة البغوي في شرح السنة ١٥/٢٠

[٣٦] ترجمة ابن حبان في الإحسان ١٣/٢٩١

[٣٧] معجم مقاييس ٤/٤٧٢.

[٣٨] الذاريات: الآية ١٣

[٣٩] طه: الآية ٤٠

﴿وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٤٠] ومنه أيضًا:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٤١] سماهم هنا فتنة اعتباراً بما ينال الإنسان من الاختبار[٤٢].

وفي الحديث:" أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ "[٤٣] يريد سؤال منكر ونكير، وهي بمعنى الابتلاء والاختبار[٤٤].

وفي الحديث الآخر:" فِيمَ تُفْتَنُونَ"[٤٥] أي تمتحنون في قبوركم[٤٦].

وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال، والإحراق، والإزالة، والصرف عن الشيء[٤٧].

والمعنى: في حديثنا كما قال العيني وغيره: هي الاختلاف الذي يكون بين أهل الإسلام؛ بسبب افتراقهم على الإمام، ولا يكون المحق فيها معلوماً[٤٨].

وقال القاري[٤٩]" سَتَكُونُ فِتَنٌ" أي عظيمة أو كثيرة متعاقبة متواليـــة، أو متراخية".

وورد في روايتنا هذه:" سَتَكُونُ فِتَنٌ" بالجمع وفي رواية المستملي[٥٠]" فِتْنَةٌ" بالإفراد، ومثلها رواية أبي ذر الهروي[٥١]، وفي رواية البيهقي[٥٢]:" إنها سَتَكُونُ فِتْنَـةٌ،

---

[٤٠] الأنبياء: الآية ٣٥

[٤١] الأنفال: الآية ٢٨

[٤٢] مفردات ألفاظ القرآن ٦٢٤

[٤٣] رواه البخاري رقم: ٨٦.

[٤٤] النهاية ٣/٤١٠

[٤٥] رواه أحمد رقم:٢٤٥٦٦ بسند صحيح.

[٤٦] النهاية ٣/٤١٠

[٤٧] النهاية ٣/٤١٠

[٤٨] العيني ٢٠/٧٢

[٤٩] في المرقاة ٩/٢٦١

أو فِتَنٌ" وفي رواية ابن حبان[٥٣]:" **سَتَكُونُ فِتَنٌ كرياحِ الصيفِ**" وتعدد الروايات مشعر بتعدد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، لا سيما أنَّ للحديث شواهد تشهد لما يرى الباحث.

قوله: القَاعِدُ: القعودُ يضاهي الجلوسَ، وإنْ كانَ يتكلمُ في مواضع لا يتكلم فيها بالجلوس[٥٤].

قال ابن منظور[٥٥]: القعود نقيض القيام، وأُقعد الرجل، لم يقدر على النهوض ورجل مقعد إذا أزمنه داء في جسده حتى لا حراك به.

والقعود في اللغة يستعمل للواقف إذا قعد، أما المضطجع فيقولون له إذا اعتدل من اتكائه جلس.

وقد هجا الحطيئةُ الزِّبرقانَ بنَ بدر فقال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فهجاه بالقعود؛ لأنه هبوط من علٍ، و لم يهجه بالجلوس لأنه نهوض من أتكاء[٥٦].

وفي الآية﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا**﴾[٥٧] فالقعود يقابله القيام﴿**لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ**﴾[٥٨] أي المتكاسلين عن القتال.

---

[٥٠] المستملي: أبو إسحاق المستملي البلخي إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن داود الحافظ، يروي الصحيح الجامع للبخاري، عن الفربري روى عنه الصحيح أبو ذر وغيره (الأنساب ٢٨٧/٥.)

[٥١] صحيح البخاري الطبعة السلطانية ٦٤/٩.

[٥٢] السنن الكبرى للبيهقي ٣٣٠/٨ رقم:١٦٧٩٦ بسند صحيح.

[٥٣] صحيح ابن حبان ٢٩١/١٣رقم:٥٩٥٩.

[٥٤] معجم المقاييس ١٠٨/٥

[٥٥] في اللسان ٣٦٨٦/٥

[٥٦] الأغاني ١٧٨/٢

ويعبر عن الترصد للشيء بالقعود[٥٩]:﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٦٠] ومنه﴿عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٦١].

وفي الحديث:" نهى أن يقعد على القبر" أراد القعود لقضاء الحاجة، وقيل: أراد به احترام الميت[٦٢].

والمعنى في حديثنا كما يقول العيني: القاعد: الذي لا يستشرفها[٦٣].

زاد الإسماعيلي في المستخرج:" **النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان خير من القاعد**" ووردت زيادة الإسماعيلي هذه البيهقي في السنن الكبرى[٦٤] وورد بلفظ:" يَكُونُ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرًا مِنْ الْجَالِسِ"[٦٥]

قوله: القائم: القيام ضد القعود وهو نوعان[٦٦] قيام حتم وقيام عزم، فقام قياماً إذا انتصب، وقام بهذا الأمر إذا اعتنقه؛ فالأول قيام الحتم والثاني قيام العزم.

فمادة قوم تدل على أمرين؛ أحدهما: الانتصاب والعزم.

والقيام أنواع[٦٧] قيام بالشخص إما بتسخير أو اختيار، وقيام للشيء وهو المراعاة للشيء والحفظ له، وقيام هو على العزم على الشيء.

---

[٥٧] النساء: الآية ١٠٣ .

[٥٨] النساء: الآية ٩٥

[٥٩] مفردات ألفاظ القرآن ٦٧٨.

[٦٠] الأعراف: الآية ١٦

[٦١] ق: الآية ١٧

[٦٢] النهاية ٨٦/٤

[٦٣] العيني ٧٤/٢٠.

[٦٤] البيهقي في السنن الكبرى ٣٣٠/٨ رقم:١٦٧٩٦ بسند صحيح.

[٦٥] رواه أبو داود رقم: ٤٢٥٦ بسند صحيح عن أبي بكرة.

[٦٦] ابن فارس ٤٣/٥

[٦٧] الراغب ٦٩٠

وورد في القرآن آيات تحتمل المعاني السابقة كلها.

فمن القيام بالتسخير: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[٦٨] ومن القيام الذي هو بالاختيار ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[٦٩] ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[٧٠].

ومن المراعاة للشيء ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾[٧١]، ومن القيام الذي هو العزم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[٧٢].

وفي حديث المسألة: " إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ لِغَنِيٍّ، وَلا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ، إِلا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ"[٧٣] أي: ما يقوم بحاجته الضرورية فقوام الشيء عمادة الذي به، فلان قوام أهل بيته[٧٤].

وفي حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ لا أَخِرَّ إِلا قَائِمًا"[٧٥] أي: لا أموت إلا ثابتاً على الإسلام والتمسك به، قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به[٧٦].

---

[٦٨] هود: الآية ١٠٠

[٦٩] الزمر: الآية ٩

[٧٠] الفرقان: الآية ٦٤

[٧١] المائدة: الآية ٨

[٧٢] المائدة: الآية ٦

[٧٣] رواه الترمذي بإسناد ضعيف رقم:٦٥٣.

[٧٤] النهاية ١٢٤/٤

[٧٥] رواه النسائي رقم: ١٠٨٤ بإسناد صحيح.

[٧٦] النهاية ١٢٤/٤

والمعنى في حديثنا: القائم الثابت على الفتنة، الذي هو قوامها، به تقـــوم وتستمر، وهو الذي يرعاها ويحافظ على اشتعالها، وهو العازم على القيام فيـــها، فكل ذلك محتمل.

قوله: الماشي: الميم والشين والحرف المعتل أصلان: يدل أحدهمـــا علـــى حركة الإنسان وغيره، والآخر على النماء والزيادة.

فمن الأول: مَشى يمشي.

ومن الثاني: المشاء وهو كثرة الإنتاج وبه سميت الماشية فالماشية من النســاء كثيرة الولد، وأمشي الرجل: كثرت ماشيته.[٧٧]

قال قال الراغب:[٧٨] المشي الانتقال من مكان إلى مكان بـــالارادة ومنـــه الآية: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾[٧٩] ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾[٨٠] ويكـــنى بالمشي عن النميمة:﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٨١].

وفي حديث المشي إلى المسجد:" **وَلَكِنْ لِيَمْشِ وَعَلَيْهِ السَّـــكِينَةُ** "[٨٢] أي: يذهب، وهو من المعنى الأول، وقد كثر الحديث.

والمعنى في حديثنا: من تحرك في الفتنة وكثّرَ أهلها.

قال القاري[٨٣]: الماشي الذاهب على رجله إليها.

---

[٧٧] ٣٢٥/٥

[٧٨] مفردات: ٧٦٩

[٧٩] البقرة: الآية ٢٠

[٨٠] النور: الآية ٤٥

[٨١] القلم: الآية ١١

[٨٢] رواه مسلم رقم:٦٠٢.

[٨٣] القاري ٢٦٢/٩

قال ابن حَجَر: في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٨٤] :" وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الرَّاكِبِ، وَالرَّاكِبُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمُجْرِي[٨٥]"، الْمُجْرِي: أي الذي يجري جريًا سريعًا.

قوله: السَّاعِي: السعي: عدو دون الشّدِّ، سعى يسعى سعيًا، قال الراغب: السَّعْيُ: المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر، خيرًا كان أو شرًا.

ومنه قوله تعالى:﴿ **وَسَعَى فِي خَرَابِهَا**﴾[٨٦] ومنه: ﴿ **نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** ﴾[٨٧] قال: وأكثر ما يستعمل السعي في الأفعال المحمودة، وفي الحديث:" **إِذَا أَتَيْتُمْ الصَّلاةَ، فَلا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ** "[٨٨].

والمعنى في حديثنا: الساعي: الذي يجري ويعدو في الفتنة لأجل تسعيرها وإلهابها.

قال ابن حَجَر: في حديث أبي بكرة عند مسلم[٨٩]:" **مِنْ السَّاعِي إِلَيْهَا**" وزاد" **أَلا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ**".

قوله: مَنْ تَشَرَّفَ: يدل أصل وضع الكلمة" شرف" على العلو والارتفاع.

---

[٨٤] رواه أحمد وغيره وفيه راو مجهول.

[٨٥] رواه أحمد رقم: ٤٢٧٤ بإسناد ضعيف.

[٨٦] البقرة: الآية ١١٤

[٨٧] التحريم: الآية ٨

[٨٨] رواه النسائي بإسناد حسن رقم:٨٦١.

[٨٩] سبق عند ذكر سبب الإيراد.

فالشرف: العلو، والشريف الرجل العالي، واستشرفت الشيء: إذا رفعت بصرك تنظر إليه والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه، ومشارف الأرض: أعاليها، والشرفة: التي تشرف بها القصور.

والجمع شُرَف.

و لم تستعمل مشتقات مادة تشرف في القرآن الكريم.

وأورد ابن الأثير في النهاية حديثنا وقال:" **مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا**" أي من تطلع إليها وتعرض لهاواتّته فوقع فيها[٩٠].

وفي الحديث الآخر:" **لا تتشرفوا للبلاء**"[٩١] أي لا تتطلعوا إليه.

وفي حديث أحد:" **لا تُشْرِفْ؛ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ**"[٩٢] أي: لا تبرز من أعلى الموضع.

والمعنى في حديثنا كما قال ابن الأثير وابن حَجَر: تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها.

ومعنى تستشرفه: أي تملكه بأن يشرف منها على الهلاك، فمن انتصب لها، انتصبت له، ومن أعرض عنها أعرضت عنه.

وحاصله: أن من اطلع فيها بشخصه قابلته بشرها.

ويحتمل أن يكون المراد من خَاطَرَ فيها بنفسه أهلكته ومن غالبها غلبته.

قال الباحث: وقع في رواية البخاري الأخرى في كتاب المناقب:" **وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا**"[٩٣] وفي رواية ابن حبان[٩٤]:" **مَنْ اسْتَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْهُ**".

---

[٩٠] النهاية مادة شرف.

[٩١] أورده ابن الأثير في النهاية، و لم أقف عليه.

[٩٢] صحيح البخاري رقم: ٤٠٦٤.

[٩٣] صحيح البخاري رقم: ٣٦٠٢.

قوله:" فَمَنْ وَجَدَ فِيْهَا" في رواية الكُشْمِيهَني:"مِنْهَا ".

قال الباحث: في السلطانية لأبي ذر الهروي" **مِنْهَا**"[٩٥].

قوله:" مَلْجَأً" قال ابن فارس:" اللام والجيم والهمزة؛ كلمة واحدة وهي: اللَّجَأ، والملجأ: المكان يُلتجَأ إليه، يقال: لجأتُ والتجأتُ، ومنه قول الشاعر:

جاء الشتاء ولَمَّا أتخذْ لَجَأً يا حَرَّ كَفِّيَّ من حَفْر القَرَاميص"[٩٦].

وفي الآية:﴿**لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ**﴾[٩٧].

قال ابن حَجَر: أي يلتجىء إليه من شرها.

قوله:" **أو مَعاذاً**" بفتح الميم، قال ابن التين[٩٨]: ورُوِّيْناهُ بالضم.

قال الفيروزابادي في البصائر[٩٩]:" عذتُ بفلان أعوذ عوذًا وعياذًا ومعاذًا أي: لجأت له. والتعويذ: الرقية، ومعاذ الله: أعوذ بالله.

وعوذ أصل واحدٌ وهو الالتجاء إلى الشيء[١٠٠] والمعاذ والملجأ بمعنى واحد.

قال ابن حَجَر: فليعذ به: أي ليعتزل فيه ليسلم من شر الفتنة، ووقع تفسير العوذ عند مسلم من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" **فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ**

---

[٩٤] صحيح ابن حبان ٢٩١/١٣ رقم:٥٩٥٩.

[٩٥] صحيح البخاري الطبعة السلطانية ٦٤/٩.

[٩٦] معجم مقاييس اللغة ٩٤٩ والقَراميص:" جمع قُرْمُوص وقِرْمَاص: حفرة يستدفئ فيها الإنسان الصَّرِد من البَرْد" انظر: اللسان٣٦٠٦/٥ " ورجل مِصْرَاد: لا يصبر على البرد" انظر: اللسان٢٤٢٧/٤.

[٩٧] التوبة: الآية ٥٧

[٩٨] عبد الواحد بن التين، أبو محمد الصفاقسي، المغربي، المالكي، اشتهر بابن التين، عالم في الفقه والحديث والتفسير، وله اعتناء زائد في الفقه، له شرح على" صحيح البخاري" اسمه" المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح" ينقُل عنه الحافظ ابن حجر في" فتح الباري" كثيرًا، انظر لترجمته: شجرة النور الزكية ١٦٨، ونيل الابتهاج على هامش الديباج المذهب ١٨٨ وهدية العارفين٦٣٥/١.

[٩٩] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١١/٤

[١٠٠] ابن فارس ١٨٣/٤

بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلا غَنَمٌ وَلا أَرْضٌ؟ قَالَ:" يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ"[١٠١].

ثاني عشر: معنى الحديث.

يبين سيدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث أنه" ستكون فتن، كرياح الصيف"[١٠٢] أو" كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا،... يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا"[١٠٣]" قَلِيلٍ"[١٠٤] وأنّ هذه الفتن ستصاول كل من يصاولها" مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ"[١٠٥] وأنه لا نجاة من هذه الفتن إلا بالفرار، فهي النار تلاحقهم وتطاردهم، وتدخل عليهم قعر بيوتهم، تجري وراءهم حتى تضطرهم إلى أخصها مكانًا، ثم تلجئهم حتى يدخلوا مساجد بيوتهم ومصلياتهم:" يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي، وَبَسَطَ يَدَهُ لِيَقْتُلَنِي؟[١٠٦]" أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيَّ دَارِي، قَالَ:" فَادْخُلْ بَيْتَكَ" قَالَ: قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي، قَالَ:" فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ"[١٠٧] بل يبلغ الأمر حده البعيد، أن تحملهم الفتنة إلى سعيرها رغمًا عنهم" أرأيت إن أُكرهت حتى يُنْطَلق بي إلى أحد الصفين،

---

[١٠١] رواه مسلم ٢٨٨٦.

[١٠٢] صحيح ابن حبان ٢٩١/١٣ رقم:٥٩٥٩.

[١٠٣] رواه مسلم رقم:١١٨ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[١٠٤] زيادة صحيحة من أحمد رقم:٧٩٧٠.

[١٠٥] مسلم رقم: ٢٨٨٦.

[١٠٦] رواه أبو داود رقم:٤٢٥٦ بسند صحيح.

[١٠٧] رواه أحمد رقم: ٤٢٧٤ بإسناد ضعيف يشهد لمعناه ما صح من الروايات الأخريات.

أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال:"يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار"[١٠٨].

ثالث عشر: أحكام الحديث.

أولاً: يبين الحديث وجوب الهروب من الفتن، ورواية أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثر توضيحاً لذلك من روايتنا:

فعن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**"

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلا غَنَمٌ وَلا أَرْضٌ قَالَ:" **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ! اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ! اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ!**"

قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ:" **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**"[١٠٩].

إن الحديث يأمر الناس بما ينبغي أن يُفْعَلَ زمنَ الفتنةِ، وحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر وتوجيه والتزام، تبين كيف تتعامل مع الفتنة؟

---

[١٠٨] مسلم ٤/٢٢١٢ ح ٢٨٨٧.

[١٠٩] رواه مسلم رقم:٢٨٨٧.

ويبدأ الحديث بوقود الفتنة ونارها؛ القاعد والماشي والساعي، وهؤلاء تؤجج الفتن، إذ هم نارها وأوارها، وزيتها ووقودها، ولو أنهم فروا من الفتنة، ما كان لها أن تنتشر وتستعر، فلدورهم الخطير بدأ بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم ينتقل الحديث إلى أصحاب الأموال زمن الفتنة فهم ممولوها ومؤججوها، ولو أن أصحاب المال انصرفوا إليه، إصلاحاً وإحساناً، ما سُعِّرتْ الفتنة ولا ارتكس الناس فيها.

والفتنة- هذا شأنها- لا تترك أحداً، إذا نزلت أو وقعت، وهي إنما تتنزل وتقع، لا تسمو وترقى، أو تمضي وتنطلق، إنها نزول وانزلاق، ووقوع وانحطاط، ولا يجمل بالمرء أن يعبر عن الفتنة بغير هذا التعبير.

وحين تقع الفتنة فإنها لا تدع أحداً إلا لوثته وأصابته بسمومها، تبدأ بالقاعد والقائم والماشي والساعي، ثم تهبط إلى صاحب الإبل والغنم والأرض، ثم تطال من لا مال له وتطاوله، وهكذا مسار الكون في الفتنة إنها لن تدع أحداً.

ويوجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لا مَالَ لَه إلى النَّجَاة" **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ**"[110].

إِنْ اسْتَطَاعَ! أو يستطيع؟

ثم يرد هذا السؤال الذي يكشف حجبَ الغيب:" قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ؟"[111].

يعجب المرء من هذا السؤال، كأنه ينظر إلى الغيب من وراء غلالة رقيقة! كيف وفّق إلى وصف حال الأمة زمن الفتنة؟ كيف جاء بلفظ:" يُنْطَلَقَ بِي" بالبناء

---

[110] رواه مسلم رقم: ٢٨٨٧.

[111] رواه مسلم رقم: ٢٨٨٧.

للمجهول، حتى يصف حال هذا الجندي التعس؛ الرابض على حدود نفسه، يصد نفسه عن نفسه، وأهله عن أهله في جرب لا خير فيها.

إن استفسار الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبهذا اللفظ نفسه، يفضح الواقع اليوم، يكشف ستر ما يدور بين كل العواصم والقبائل والعشائر العربية والإسلامية.

إن الحديث يأمر بالفرار، وكسر السيوف في حروب البأس الداخلي، إيقافًا للجرح المثخنِ النازفِ من دماءِ قلوبنا ومهج أبنائنا.

قال ابن حَجَر:" فيه التحذير من الفتنة، والحثُّ على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها"[١١٢].

وقد روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ، الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ**"[١١٣] فهذا الحديث يطبق ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**" وكأني بسيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أنْ يشغَل الناس عن الفتنة بما يحبطها، وهو"التنمية الاقتصادية" إنْ لم يكن الوازع الديني كافيًا في ضبط النفس وتهذيبها، ولعمري إنّ هذا الأمر ما فطن له الناس إلا في عصرنا المتأخر هذا، فكأنه من أعلام النبوة أن يقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلى طريقة إنهاء الحروب الأهلية، بإشغال الناس بالتنمية الاقتصادية، والله تعالى أعلم.

---

[١١٢] الفتح ٣٨/١٣

[١١٣] صحيح البخاري رقم:١٩ والشَّعَفُ جمع شَعَفَة، وهي: رؤوس الجبال، كما قاله الحافظ في الفتح في شرحه.

قال البغوي:" إن رجالاً من أهل بدر لما قتل عثمان؛ لزموا بيتهم، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم"[114] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فراراً من الفتن.

والسؤال: كيف يستطيع المسلمون الوقوف في وجه الظالم إن لزم كل بيته؟

وندع اجابة السؤال للإمام الطبري فيما نقله عنه ابن حَجَر في الفتح يقول:[115]" فلو كان الواجَب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه؛ بلزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد، ولا أبطل باطل، ولوَجَدَ أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات؛ من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم، بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة، وقد نُهينا عن القتال، وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء".

فيجب تحديد المصطلح، ما الفتنة؟ ومتى يجب الهرب بلزوم البيوت وكسر السيوف؟

إنَّ الوقوف في وجه الظالم المرتد ردةً ظاهرة أولى من غمد سيف الحق، وترك الزنادقة يحاربون دين الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: يدل الحديث أن المسلم الذي يتلبس بالفتنة لا يتمحض للشر المطلق، فهو رغم تلبسه بها إلا أنه صاحب خير يذكره له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فالقاعد فيه خيرٌ أكثر من الماشي وهذا من الإنصاف للناس، ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[116] و ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[117].

---

[114] شرح السنة ١٥/٢٣

[115] الفتح ١٣/٣٤

[116] هود: الآية ٨٥

[117] المطففين: الآية ١

إنّ بخس الناس أشياءهم لا يجوز، فالأمر تطفيف لا يليق.

وقد تلبس ناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الفتن، فهل يعقل أن يقال إنهم جردوا من الخير ومُحِّضُوا للشر، معاذ الله؟

إن إثبات الخير للمتلبسين بالفتنة يشبه ما ورد في الآية:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [118] فرغم القتال والقتل، إلا أنه سبحانه أثبت لهم الإيمان، والإيمان خير كله.

قال الداودي[119]: كما نقله عنه ابن التين وأورده ابن حَجَر في الفتح[120]:"والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شراً ممن فوقه على التفصيل المذكور".

قال عبد الله بن المبارك:" السيف الذي كان بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم كان فتنة، ولا أقول لأحد منهم مفتون"[121].

رابع عشر: اللطائف الدعوية والتربوية.

قوله:"سَتَكُونُ فِتَنٌ": هذا خطاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمؤمنين، فقد يبدو لكثير من الناس أن الإيمان بالله تعالى قد عصمهم من الفتنة، وآمنهم من خوض غمارها، بل إنّ الفتنة أكثر التصاقاً بالمؤمن الصالح التقي، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى:﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ

---

[118] الحجرات: الآية ٩

[119] أحمد بن نصر الداودي المتوفى سنة ٤٠٢ له شرح على البخاري اسمه" النصيحة في شرح البخاري" انظر: الديباج المذهب ١٦٥/١ وشجرة النور الزكية ترجمة ١٥٢.

[120] الفتح ٣٨/١٣

[121] انظر: تاريخ الإسلام للذهبي الطبقة ١٨١-١٩٠ ص:٢٢٧.

﴿يُفْتَنُونَ﴾[١٢٢] وفي الحديث:" **يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** "[١٢٣].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **فِتَنٌ**" بالجمع يفيد كثرتها وتنوعها، وتتابع ورودها على العبد المؤمن حتى تمحصه للخير، وتخلصه له، وجدير بالعبد المؤمن أن يتذكر أيوب عليه الصلاة والسلام، فكيف تواترت عليه الفتن في نفسه وماله وولده وأهله؟ ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[١٢٤] فقد يرى المؤمن الفتنة في نفسه وولده، وأهله وزوجه، وماله ووطنه، ولا يقول إلا كما يقول العبد المؤمن إذ يبتلي ويمتحن:﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[١٢٥] ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[١٢٦].

قال ابن حَجَر في الفتح[١٢٧]:" إن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر عن ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً لهم وزيادة لهم في الثواب".

وإخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته بهذا الحديث؛ إخبار محب يبصر الناس عورات الطريق ليحذروها ولئلايقعوا فيها.

---

[١٢٢] العنكبوت: الآية ٢

[١٢٣] رواه الترمذي رقم: ٢٣٩٨ وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قال الباحث: إسناده حَسَنٌ.

[١٢٤] الأنبياء: الآية ٨٣

[١٢٥] البقرة: الآية ١٥٥

[١٢٦] البقرة: الآية ١٥٦

[١٢٧] الفتح ٦/٤٨٣

وهذا أدب الوالد مع ولده، والأستاذ مع تلميذه، والداعية مع مريـــده، في منهجية تدفع بالمسلم قُدُمًا نحو الله، دون أن تهبط به في درك الخور والاحباط.

قوله:" القَاعِدُ فِيْهَا" بهذا التعبير بدل الجالس، إشعار بأن الفتنة هبوطٌ مـــن عَلٍ، وقعودٌ عن عَلٍ، وأنها لا يسمو بها صاحبها، وأن كل من يشارك فيها يُرمـــى بشرارها، فإذا كان القاعد قد طاله أذاها فكيف بالماشي والساعي والمستشرف لها؟

قوله:"مَلْجَأً أوْ مَعَاذًا" إشعـــار بخطورة الفتنة، فالتعبير يؤكـــد ضـــرورة الهرب منها، والالتجاء والبحث عن موقع آمن بعيد عن المخالطة لها، وفيه إشـــعار بأنه لا يصلح في الاحتماء من الفتنة أي مكان، فلابد من مكانٍ حصـــين مشـــيد، متين شديد.

الحديث الثالث

قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الفتن:

بَابٌ: إِذَا التَقَى[1] الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا"

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ رَجُلٍ لَمْ يُسَمِّهِ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: خَرَجْتُ بِسلاحِي لَيَالِيَ الْفِتْنَةِ، فَاسْتَقْبَلَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ نُصْرَةَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَكِلاهُمَا مِنْ أَهْلِ[1] النَّارِ"

قِيلَ: فَهذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ:

" إِنَّهُ أَرَادَ[2] قَتْلَ صَاحِبِهِ"

قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لأَيُّوبَ وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ يُحَدِّثَانِي بِهِ فَقَالا:

إِنَّمَا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْحَسَنُ عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ بِهَذَا.

وَقَالَ: مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَيُونُسُ وَهِشَامٌ وَمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ عَنِ الأَحْنَفِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ.

وَرَوَاهُ بَكَّارُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ.

---

[1] في حاشية النسخة السلطانية٩/٦٤: في نسخة أبي ذر الهروي:" فَبِلاَهُمَا فِي النَّار".

[2] في حَاشِيَة النسخة السلطانية٩/٦٤: في نسخة أبي الوقت:" قد أراد".

أولاً: تخريج الحديث :

أخرجه البخاري ومسلم وأبوداود في سننه، والنسائي في المجتبى وأحمد في المسند والبيهقي في السنن الكبرى.

ثانياً: دراسة السند :

عبدالله بن عبدالوهاب الحَجَبي، أبومحمد البصري ثقة مات سنة ٢٢٨هـ.

حماد بن زيد بن درْهَم الأزدي، الجهضمي، أبواسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه مات سنة ١٧٩هـ وله إحدى وثمانون سنة.

عن رجل:إبهام في السند، و لم يذكره أبوزرعة العراقي في المستفاد من مبهمات المتن والإسناد وشرطه في كتابه يقتضي ذكره له.

قال ابن حجر في الفتح: قوله: "عن رجلٍ لم يسمه" هو: عمرو بن عُبيد شيخ المعتزلة وكان سَيِّء الضبط، هكذا جزم المزي في التهذيب بأنه المبهم في هذا الموضع.

وجوز غيره كمغلطا ي أن يكون هو هشام بن حسان وفيه بعد[٤٣].

قال العيني في العمدة: قوله "عن رجل" قال بعضهم: هو عمرو بن عُبيد شيخ المعتزلة، وكان سَيِّء الضبط، قال الحافظ المزي في التهذيب: وقال صاحب التلويح: هو هشام بن حسان أبوعبدالله القردوسي، وتبعه على ذلك صاحب التوضيح، وكذا قاله الكرماني ناقلاً عن قوم.

وقال بعضهم: فيه بعد.

قلت: ليت شعري ما وجه البعد ووجه البعد ما قاله ؟ ويؤيد ما قاله هؤلاء ما قاله الإسماعيلي في صحيحه. حدثنا الحسن حدثنا محمد بن عبيد

---

[٤٣]- ١٣/٤٠.

حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام عن الحسن فذكره، وتوضحه رواية النسائي عن علي بن محمد عن خلف بن تميم عن زائدة عن هشام عن الحسن الحديث والحسن هو البصري "[44].

الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار، الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه إمام فاضل مشهور مات سنة عشر ومئة، وقد قارب التسعين.

قال: "خرجت بسلاحي" كذا وقع في هذه الرواية وسقط الأحنف بين الحسن وأبي بكرة، وقد وقع في رواية عمر بن شبة عن خالد بن خداش عن حماد بن زيد عن أيوب ويونس عن الحسن عن الأحنف قال: "التحفت عليَّ بسيفي لآتي علياً فأنصره" [45].

أبوبكرة نُفَيْع بن الحارث بن كَلَدَة بفتحتين، بن عمرو الثقفي صحابي مشهور بصري مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين.

والساقط بين الحسن وأبي بكرة الأحنف بن قيس بن معاوية السعدي؛ أبوبحر اسمه الضحاك، مخضرم ثقة قيل: مات سنة اثنتين وسبعين وهو بصري.

ثالثاً: لطائف السند :

أ- رجاله بصريون.

ب- فيه مخضرم؛ الأحنف بن قيس وقد رأى النبي ﷺ قبل إسلامه[46].

ج- فيه رواية التابعي عن التابعي؛ الحسن عن الأحنف.

---

[44] -عمدة القاري ٢/٧٥.

[45]- الفتح ١٣/٤٠.

[46]- الفتح ١/١١٦.

د- وفي الإسناد الثاني رواية التابعي عن التـابعي عن التـابعي أيـوب عن الحسن عن الأحنف.

رابعاً: رحلة الحديث:

حديثنا بصـري نقلـه أبوبكـرة مـن المدينـة إلـى البصـرة، وعنـه أخـذه الأحنف وهو بصري وبقية السند بصريون رووه عن بعضهم بالبصرة.

خامساً: شجرة الإسناد:

سادساً: ألفاظ التلقي والأداء

الإسناد الأول: فيه التحديث بصيغة الجمع، وعنعنة الثقات غير المدلسين.

والإسناد الثاني: فيه لفظ أداء يوهم عدم السماع؛ وهو قول أيوب ويونس: إنما روى هذا الحديث؛ الحسن بن الأحنف.

فأورد البخاري لأجل ذلك الرواية الثالثة المعلقة عن مؤمل، فأفادت سماع أيوب ويونس عن الحسن.

ولما كان مؤمل صدوقاً سيءَ الحفظ، كما قال ابن حجر: "مؤمل بن اسماعيل البصري أبوعبدالرحمن، صدوق سيء الحفظ"[٤٧].

أورد البخاري الرواية الرابعة المعلقة التي أفادت سماع أيوب من الحسن من طريق غير طريق مؤمل.

ثم أورد البخاري الحديث من إسناد آخر معلقاً، وهو الخامس، ورجاله رجال الحديث الحسن، وقد سكت ابن حجر عن إسناده، وهذا مشعر بحسن سند الحديث[٤٨].

وأروده من طريق سادس معلقاً، ورجاله ثقات.

ثم أورد الحديث من طريقه السابعة معلقاً موقوفاً على أبي بكرة، ورجاله ثقات.

ولا يضير ذلك الجامع الصحيح في شيء؛ فقد أورد البخاري حديثا مسنداً متصلاً في كتاب الإيمان الباب الثالث والعشرين.

---

[٤٧]- التقريب ص ٥٥٥.

[٤٨]- الفتح ٤١/١٣.

سابعاً:مناهج المصنف في هذا الحديث :

أ- الترجمة للحديث فقد ترجمه بقوله: باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما.

ب- إيراد الحديث من عدة طرق اختصر بعضها وأورد بعضها دون اختصار.

ج- إيراد الحديث المعلق لفائدة، وقد بينت ذلك في فقرة ألفاظ التلقي والأداء.

د-تكرار الحديث، فقد أورد البخاري حديثنا هذا بإسناد متصل، حدثنا عبدالرحمن بن المبارك حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب ويونس عن الحسن عن الأحنف بن قيس فذكره مثله.[٤٩]

هـ- الإشارة للمتن في قوله: ثنا سلمان ثنا حماد بهذا .

ثامناً: سبب ورود الحديث:

لم أقف على سبب ورود له.

تاسعاً: سبب إيراد الحديث :

روى البخاري وغيره ما وقع من خروج الأحنف بن قيس وقومه لنصرة علي رضي الله عنه يوم الجمل[٥٠] وما كان من موقف أبي بكرة معه. وقد أورد ابن حمزة الحسيني هذا الحديث وبين سبب وروده ثم قال: هذا

---

[٤٩] البخاري - الصحيح - ك الإيمان ب "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا"

[٥٠]- الفتح ١/١١٦.

السبب بعد عصر النبوة"[٥١]. وابن حمزة رحمه الله لا يرى التفريق بين سبب الورود وسبب الإيراد.

عاشراً: الترجمة والمطابقة والتراجم المضافة :

أورده البخاري في كتاب الإيمان باب: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ وأورده أيضاً في كتاب الديات باب قوله تعالى: ﴿**ومن أحياها**﴾ قال ابن عباس: مَنْ حرم قتلها إلا بحق فكأنما أحيا الناس جميعاً. والحديث في روايتنا من كتاب الفتن، باب: إذا التقى المسلمان بسيفيهما.

و عند مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما. وعند أبي داود في كتاب الفتن والملاحم باب في النهي عن القتال في الفتنة . و عند النسائي في كتاب تحريم الدم باب تحريم القتل.

وله شاهد عنده بألفاظ متقاربة كتاب الفتن: باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، وترجمه البيهقي في سننه الكبرى من كتاب قتال أهل البغي باب النهي عن القتال في الفرقة ومن ترك قتال الفئة الباغية خوفاً من أن يكون قتالاً في الفرقة، وهو في صحيح ابن حبان في كتاب الرهن باب ذكر الزجر عن أن يناول المرءُ أخاه السيف وهو مسلول، ثم قال: ذكر العلة التي من أجلها تلعن الملائكة هذا الفاعل، ثم أورده في كتاب الجنايات، ذكر التغليظ على من قاتل أخاه حتى قُتِل.

وهو عند البغوي في شرح السنة في كتاب الأيمان باب القسامة.

المطابقة بين الترجمة والحديث: ترجم البخاري الحديث بشطر منه: "باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما" وحذف الجواب اكتفاءً بما سيرد في متن الحديث.

---

[٥١]- البيان والتعريف ١/١٣٨.

قال العيني: "مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما"[٥٠].

التراجم المضافة :

١- باب في أن القتال بين المسلمين لا يذهب بإسلامهم.

٢- باب طاعة أولي الأمر من الدعاة والعلماء.

٣- باب في المحاسبة على إرادة القتل والمقاتلة .

حادي عشر: اللغة وغريب اللفظ.

خرجت: أصل مادة خرج يدل على النفاذ عن الشيء[٥١].

قال الراغب[٥٢] :خرج خروجاً: بَرَز من مقره أو حاله، سواء كان مقره داراً أو بلداً أو ثوباً، وسواء كان حاله حالةً في نفسه، أو في أسبابه الخارجية.

وقد وردت مادة خرج في القرآن في مواطن كثيرة لتدل على هذا المعنى.

ومعناها في حديثنا أن الأحنف - رحمه الله - برز من بلده وموطنه لمناصرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

بسلاحي: الباء تفيد الإلصاق.

والسلاح: قال ابن فارس[٥٣]: السين واللام والهاء السلاح، وكان أبوعبيدة يفرق بين السلاح والجُنّة فيقول: السلاح ما قوتل به، والجنة ما اتقي به.

ويدلنا ابن دريد على أصل وضع الكلمة فيقول[٥٤]: "كل مارق من ذي البطن في الناس وغيرهم فهو سلح، والسلاح ربما خص به السيف، وتسلح القوم إذا لبسوا السلاح".

٥٠- عمدة القاري ٢٠/٧٥.

٥١- ابن فارس ٢/١٧٥.

٥٢- في مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٧٨.

٥٣- ٣/٩٤.

قال الراغب في المفردات[٥٧] :السلاح كل ما يقاتل به، قال تعالى: ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ (النساء ١٠٢) أي أمتعتهم.

والمَسْلَحةَ: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسُمُّوا مسلحةً لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر، وفي الحديث:" كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العُذيب".

والمعنى في حديثنا: أن الأحنف أخذ سلاحه واستعد للقتال.

وقع في رواية عمر بن شبة عن الأحنف قال: "التحفت عليَّ بسيفي لآتي علياً فأنصره"

ليالي: قال ابن دريد[٥٨]: "الليل ضد النهار، وليلة ليلاء صعبة، وليلة ليلى هي أشد ليلة في الشهر ظلمةً، وآخر ليلة فيه".

الفتنة: سبق دراستها في الحديث السابق.

ومعنى ليالي الفتنة هنا كما قال ابن حجر[٥٩]: "المراد بالفتنة الحرب التي وقعت بين علي ومن معه، وعائشة ومن معها".

وأورد العيني كلام ابن حجر وقال: كذا قال بعضهم ثم قال: ما معنى إيهامه ذلك والمراد بها وقعة الجمل ووقعة صفين؟[٦٠].

فاستقبلني أبوبكرة: وفي رواية مسلم: "فلقيني أبوبكرة".

وأصل الاستقبال من قبل التي تدل على مواجهة الشيء بالشيء[٦١].

والمعنى في حديثنا كما في رواية مسلم "لقيني".

---

[٥٦]- الجمهرة ٥٣٤/١.

[٥٧] المفردات ٤١٩.

[٥٨]- الجمهرة ٢٤٧/١.

[٥٩]-الجمهرة ٢٤٧/١.

[٦٠]- العمدة ٧٥/٢٠.

[٦١]- ابن فارس ٥١/٥.

قوله: أين تريد يعني سؤال أبي بكرة الأحنف عن مقصده وزاد في رواية مسلم قول أبي بكرة "ياأحنف".

قوله: قلت: القائل الأحنف بن قيس.

أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ ووقع عند البخاري في كتاب الإيمان باب وإن طائفتان: ذهبت لأنصر هذا الرجل.

قال أبوزرعة العراقي في المستفاد من مبهمات المتن والإسناد [٦٢]: "الرجل علي بن أبي طالب".

ولفظ أداء أبي بكرة في روايتنا قال: وعند مسلم: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ .

إذا تواجه: إذا ظرف لما يستقبل من الزمان مبني على السكون، متضمن معنى الشرط غالباً، خافض لشرطه متعلق بجوابه.

تواجه: فعل ماضي مبني على الفتح.

المسلمان: فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى.

وجملة تواجه المسلمان في محل جر بالإضافة إلى "إذا" الظرفية.

وتواجه من أفعال المفاعلة وهي التي لا تتم إلا إذا وقعت من اثنين.

وأصل مادة "وجه" تدل على مقابلةٍ لشيءٍ، وواجهت فلاناً جعلتُ وجهي تلقاءَ وجهه[٦٣]. وتستعمل مشتقات الكلمة لتدل على السيادة في الناس.

قال الراغب[٦٤]: أصل الوجه الجارحة، ولما كان الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن، استعمل في مستقبل كل شيء، وفي أشرفه ومبدئه، فقيل وجه كذا، ووجه النهار.

---

[٦٢] - ٣ / ١٥٩٩.

[٦٣]- معجم المقاييس ٦/٨٨.

[٦٤]- المفردات ٨٥٥.

والمراد من تواجه هنا كما قال النووي: "ضرب كل واحدٍ منهما وجه صاحبه أي ذاته"

ووقع في رواية مسلم وغيره: " إذا التقى" بدل تواجه والمعنى متقارب.

قال العيني: ويروى توجه.

المسلمان: معناها معلوم، وأصل مادة سلم تدل على التسليم والانقياد لله، قال الراغب[١٥]: والإسلام في الشرع على ضربين:

أحدهما دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل.

والثاني: فوق الإيمان: وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقادٌ بالقلب، ووفاءٌ بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر.

بسيفيهما: أصل مادة سيف مشتق من قولهم: ساف ماله، إذا هلك، فلما كان السيف سبباً للهلاك سُمِّي سيفاً[١٦].

قال أيضاً: والسيف معروف.

ويرى ابن فارس أن أصل مادة سيف يدل امتداد امتداد في شيء وطول. من ذلك السيف؛ سمي بذلك لامتداده[١٧].

والمعنى بسلاحهما، سواء كان السلاح سيفاً أم غيرَه، وقد ترجم ابن حبان الحديث بقوله: من قاتل أخاه، والمقاتلة تقع بكل سلاح.

وقوله بسيفيهما بالتثنية وفي رواية الكُشْمِيْهَني بالإفراد[١٨].

فكلاهما: الفاء واقعة في جواب الشرط لأداة الشرط إذا.

---

[١٥]- المفردات ٤٢٣.

[١٦]- ابن دريد ٢/٨٥٠.

[١٧]- معجم مقاييس اللغة ٣/١٢١.

[١٨]- الفتح ١٢/٢٤٣.

ورواية الكشميهني: "في النار" وعند مسلم: "فالقاتل والمقتول في النار".

من أهل النار: أهل: قال ابن فارس: أهل الرجل أخص الناس به، وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به، وتأهل الرجل: إذا تزوج[٦٩].

وقال الراغب[٧٠]: أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، وأهل الرجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد،والمكان المأهول: الذي فيه أهله، وأهل به إذا صار ذا ناس وأهل.

وفي حديث أبي بكر في استخلافه عمر رضي الله عنهما: "أقول له إذا لقيته: استعملت عليهم خير أهلك" يريد خير المهاجرين، وكان يسمون أهل مكة، أهل الله تعظيماً لهم، كما يقال: بيت الله[٧١].

قيل: القاتل هنا أبوبكرة فقد وقع مصرحاً به عند مسلم، لكنه شك فقال: "فقلت أو قيل".

وفي رواية أيوب السَّخْتِيَاني عند عبدالرزاق في المصنف: "قالوا: يارسول الله".

وقوله: "هذا القاتل" مبتدأ وخبره محذوف وتقديره يستحق النار، أي هذا القاتل يستحق النار.

وقوله: فما بال المقتول ؟" أي فما ذنبه.

وأصل مادة قتل يدل على إذلال وإماتة، يقال: قتله قتلاً، والقِتْلَة: الحال يقتل عليها، يقال: قتله قِتْلَة سوء[٧٢].

---

[٦٩]- معجم المقاييس ١/١٥٠.

[٧٠]- المفردات ٩٦.

[٧١]- النهاية ١/٨٤.

[٧٢]- معجم المقاييس ٥/٥٧.

واقتتل القوم وتقتلوا في معنى: تقاتلوا[٢٣].

والمادة كثيرة الاستعمال في الكتاب والسنة.

والمعنى: القاتل الذي يضرب صاحبه حتى الموت، والمقتول المضروب حتى الموت، ولا اعتبار لآلة القتل والضرب.

قوله:" إنّه أراد قتل صاحبه".

إن: حرف توكيد ونصب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب اسم إنّ.

أراد: فعل ماضي مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

قَتْلَ: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

صاحبه: صاحب مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف

والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بالإضافة.

وجملة أراد قتل صاحبه في محل خبر حرف التوكيد والنصب "إنّ".

وأصل كلمة أراد من رود وهي تدل على مجيءٍ وذهاب من انطلاق في جهة واحدة[٢٤].

وقال ابن دريد[٢٥]: الرائد: طالب الكلأ، وهو الأصل، ثم صار كل طالب حاجة رائدا.

---

[٢٣]- ابن دريد ١:٤٠٧.

[٢٤]- معجم المقاييس ٢٤٥٧.

[٢٥]- ١٠٥٧/٢.

قال الراغب[٧٢]: والإرادة منقولة من راد يرود، إذا سعى في طلب شيء، والإرادة في الأصل: قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء.

وقد تذكر الإرادة ويراد بها معنى الأمر مثل: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة ١٨٥).

والمراودة: أن تنازع غيرك في الإرادة، فتريد غير ما يريد ومنه الآية: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ (يوسف ٢٦) أي يريد غير ما تريد. وفي حديث علي – رضي الله عنه – في صفة الصحابة – رضي الله عنهم –: "يدخلون رواداً ويخرجون أدلة" أي يدخلون على النبي ﷺ طالبين العلم وملتمسين الحكم من عنده ويخرجون أدلة هداة للناس[٧٣].

والمعنى: إنّ المقتول عزم على قتل صاحبه.

وفي رواية البخاري المتقدمة في كتاب الإيمان: "إنه كان حريصاً على قتل صاحبه".

صاحبه: أصل المادة يدل على مقارنة شيء ومقاربته[٧٤].

قال الراغب[٧٥]: "الصاحبُ: الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك للشيء: هو صاحبه ومنه: ﴿أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ (البقرة ٢١٧).

ومن المادة كلمة صحابة التي تطلق على أصحاب رسول الله ﷺ ومعنى صاحبه هنا ؛ الذي قاربه وقارنه والتزم مقاتلته.

---

[٧٢]– المفردات ٣٧١.

[٧٣]– النهاية ٢/٢٧٦.

[٧٤]– معجم المقاييس ٣/٣٣٥.

[٧٥]– المفردات ٤٧٥.

ثاني عشر: معنى الحديث

يبين الحديث حرمة القتال والمقاتلة والقتل بين المسلمين، وأنَّ فاعل ذلك يدخل النار قاتلاً أو مقتولاً، ويستغرب الصحابة ذلك الحكم ويسألون عن تعليله فيعلله النبي ﷺ لهم تعليماً وتفهيماً.

ثالث عشر: مشكل الحديث.

في حديثنا اشكالان :

الأول: دخول المقتول النار وقد استشكل الصحابة رضي الله عنهم ذلك، ودفع النبي ﷺ الإشكال بقوله: **"إنه أراد قتل صاحبه"** كما يشكل دخوله النار على إرادة القتل فقط.

وجهد العلماء في دفع هذا المشكل على أقوال :

الأول: قول القرطبي في المفهم[٨٠]: "أخرج البزار في حديث القاتل والمقتول في النار" زيادة تبين المراد وهي: "إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار". ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ: "لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قَتَل ولا المقتول فيما قُتِلَ، فقيل: كيف يكون ذلك ؟ قال: الهَرَج، "القاتل والمقتول في النار"

قال: فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوى فهو الذي أريد بقوله "القاتل والمقتول في النار".

والثاني: ما ذكره القسطلاني في الإرشاد[٨١]: "لا يلزم من كون القاتل والمقتول في النار أن يكونا في مرتبة واحدة ؛ فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والمقتول يعذب على القتال فقط".

---

[٨٠]- الفتح ١٣/٤٢.

[٨١] - ارشاد الساري ١٠/١٨٢.

وبهذا الجواب يُزال الإشكال الثاني وهو كيف يؤاخذ المقتول على العزم ولم يقع منه القتل ؟

فإذا كان دخوله النار مترتباً على مقاتلته؛ زال ما قد يُتوهم من أنه دخل النار بسبب عزمه على قتل صاحبه.

والثاني: كيف يخذل أبوبكرة الأحنف بن قيس وقومه عن نصرة علي أمير المؤمنين آنذاك. وقد أورد هذا الإشكال الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار[٨٢]

والجواب من وجهين :

الأول: قيام الشبهة لدى الصحابة فأي الفريقين على الحق؟ فإنّ ذلك الأمر لم يكن معلوماً على القطع لدى الصحابة، فتحرجوا لذلك من دخول تلك الحروب، وعلى رأس أولئك أبوبكرة وأبوهريرة وابن عمر رضي الله عنهم.

وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن حصين بن عبدالرحمن عن عمرو بن جاوان قال: "قلت له أرأيت اعتزال الأحنف ما كان ؟

قال: سمعتُ الأحنف قال: حججنا فإذا الناس مجتمعون في وسط المسجد- يعني النبوي - وفيهم علي والزبير وطلحة وسعد إذ جاء عثمان" فذكر قصة مناشدته لهم في ذكر مناقبه، قال الأحنف: فلقيت طلحة والزبير فقلت: إني لأرى هذا الرجل - يعني عثمان - إلا مقتولاً فمن تأمراني به ؟ قالا: علي، فقدمنا مكة فلقيت عائشة، وبلغنا قتل عثمان، فقلت لها: من تأمريني به ؟ قالت: علي، قال فرجعنا إلى المدينة فبايعت علياً، ورجعت إلى البصرة فبينما نحن كذلك إذ أتاني آت فقال: هذه عائشة وطلحة والزبير نزلوا بجانب الخريبة يستنصرون بك، فأتيت عائشة، فذكرتها بما قالت لي، ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما إلى أن قال: "فقلت والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين،

---

[٨٢] - شرح مشكل الآثار ٢٧٥/١٠

وحواري رسول الله ﷺ ولا أقاتل رجلاً أمرتموني ببيعته، فاعتزل القتال مع الفريقين[٨٣].

والثاني: تخوف الصحابة من قتل المسلم مسلماً آخر، وهو تعليل أبي بكرة للأحنف بن قيس.

وقد ذكر البغوي في شرح السنة رأي ابن عمر وسبب عدم مشاركته علياً في حربه مع معاوية.

قال البغوي في شرح السنة: قال رجل لابن عمر في فتنة ابن الزبير: إنَّ الناس قد صنعوا وأنت ابنُ عمر، وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أنْ تخرج؟ قال يمنعني أنَّ الله قد حرم دم أخي.

قال: ألم يقل الله: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ (الحجرات ٩) قال: لأنْ أغتر بهذه الآية، ولا أقاتل أحبُّ إليَّ من أن أغتر بالآية التي تقول: ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً**﴾ (النساء ٩٣) قال: ألم يقل الله ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ (البقرة ١٩٣) قال: قاتلنا على عهد رسول الله ﷺ حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله[٨٤].

رابع عشر: اللطائف الدعوية والتربوية :

الأولى: قوله: "ليالي الفتنة" فيه إبهام فلم ؛ يبين الأحنف بن قيس اسم تلك الليالي كما عُرِفَتْ "الجمل وصفين" فلعله أراد أن يستعمل لفظ النبوة من جهة "ستكون فتن"، وأراد من جهة أخرى ألا يَنْكَى جراحات الأمة مرةً أخرى، بتكرار ذكر تلك الجراحات على المسامع، ومن اللطيف ترك ذكر جراحات

---

[٨٣]- نقله ابن حجر ٤٣/١٣.

[٨٤]- شرح السنة ٢٣/١٥.

الأمة الداخلية، فإن ذلك يساهم في نسيانها، وقد بوب القرطبي في التذكرة: "باب ما جاء أن اللسان في الفتنة أشد من وقع السيف"[٨٥].

وقال القرطبي: "وسئل بعض المتقدمين عن الدماء التي وقعت بين الصحابة ﷺ فقال: ﴿ تلك أمةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾(البقرة ١٣٤)

وقال القرطبي في التفسير: "سُئل بعضهم عنها فقال: "تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أخضِبُ بها لساني"وقد سُئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: "قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا"[٨٦].

فقول الأحنف: "ليالي الفتنة" درس في صون اللسان عن التكلم في حق الصحابة ﷺ .

قال القرطبي: "وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر"[٨٧]

فإن لم يضبطنا ذلك الأدب كنا كمن قيل فيهم: "جعلوا قليل زلات السلف حجة أنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم الغنية"[٨٨].

الثانية: قول أبي بكرة "أين تريد؟" هذا سؤال له مسوغاته، رجل يتأبط سلاحه ليالي الفتنة، يسير وسط جيش عرمرم، فالأنسب من العالم البصير أن يسأل، أن يقول لمن يحمل هذا السيف إلى أين ؟ وماذا تريد ؟ ومن

---

[٨٥]- التذكرة ٦٥٢.

[٨٦]- الجامع لأحكام القرآن ٢١١/١٦ -

[٨٧]- الجامع ٢١١/١٦.

[٨٨]- عبدالقادر الكيلاني ١٨٤/٢.

هنا يحسن بالدعاة أن يعوا درس أبي بكرة، فتكون لهم مساهمة في إخماد الفتنة وعدم تأجيج نارها.

أين تريد ؟ حق للداعية أن يسأل، ويجب على الطالب أن يستجيب ويمتثل.

الثالثة: قوله: "أُريد نصرة ابن عم رسول الله" فيه تحسين المرء حجته، ومحاولة تقديمها بأجمل الصور ؟ فإن الأحنف لا يجيب على سؤال أبي بكرة؛ إذا سؤاله أين تريد ؟ وجواب هذا السؤال: أُريد مكان كذا.

لكن الأحنف يحسن حجته ويقدم جواباً وهو يحاول أن يضم إلى فكرته أبابكرة أيضاً عبر إثارة عاطفته تجاه رسول الله ﷺ وابن عمه علي.

الرابعة:قوله: "إذا تواجه" أكثر تأثيراً من قوله: "إذا تقاتل" أو "إذا التقى" فالمسلم لا يلقى وجه أخيه إلا بالسلام، فما بلاه حتى يواجهه بالسلاح والقتل والمقاتلة.

الخامسة: قوله: "المسلمان" ليشعر أنهما دون درجة الإيمان: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ (الحجرات ١٤) أما الآية: فقد ذكرت لفظ الإيمان: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ (الحجرات ٩)، فكأنها أرادت إثبات لفظ مسمى الإيمان للمتقاتلين.

السادسة: في قوله: تواجه المسلمان إثبات إسلامهما رغم اقتتالهما، وفيه دخول المسلم النار بالعصيان.

السابعة:قول الصحابة: "فهذا القاتل، فما بال المقتول؟" فيه استفسار الطالب عمَّا يشكل عليه من العلم واحتمال الإستاذ ذلك له، وفيه أنَّ كل أحد يُراجع ويُسأل عما قال فإذا كان النبي ﷺ يُسأل عما قال ويستغرب منه،ويشكل كَلاَمُه فإنَّ كل أحدٍ بعده ﷺ يُسأل.

خامس عشر: أحكام الحديث وفقهه :

١- دخول المسلم النار بالمعصية، فالقاتل عاص، والمقتول مثله، مع اختلاف الاثنين في الحال، فأحدهما يعذب على القتل والقتال، والآخر على القتال.

٢- قال ابن حجر: "احتج الباقلاني بالحديث على أنَّ من عزم على المعصية يأثم ولو لم يفعلها وأجاب من خالفه بأن المقتول قد شرع في الفعل"[٨٩].

٣- وقال الخطابي: "هذا الوعيد لمن قاتل على عداوة دنيوية، أو طلب ملكٍ مثلاً، فأما مَنْ قاتل أهل البغي أو دفع الصائل فقتل فلا يدخل هذا الوعيد لأنه مأذون له في القتال شرعاً"[٩٠].

٤- قال العلماء: "معنى كونهما في النار أنهما يستحقان ذلك، ولكن أمرهما إلى الله تعالى إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين، وإن شاء عفا عنهما فلم يعاقبهما أصلاً، وقيل: هو قولٌ على من استحل ذلك".

٥- قال في الفتح [٩١] "لا حجة فيه للخوارج، ومن قال من المعتزلة بأنَّ أهل المعاصي مخلدون في النار لأنه يلزم من قوله: فهما في النار، استمرار بقائهما فيه.

٦- احتج بالحديث مَنْ لم ير القتال في الفتنة، وهم كل من ترك القتال مع علي في حروبه، وقالوا: يجب الكف حتى لو أراد أحدهم قتله لم يدفعه عن نفسه، ومنهم من قال: لا يدخل في الفتنة فإن أراد أحد قتله دفع عن نفسه.

٧- ذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين، ولو تكاثر البغاة حتى أقاموا دولة وصولة.

---

[٨٩]- الفتح ١٢/٢٤٣.

[٩٠]- الفتح ١٢/٢٤٣.

[٩١] - الفتح ١٣ /٤٢

الحديث الرابع

قال الإمام البخاري:

بابٌ كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟

قال: حدثنا محمد بن المُثَنَّى، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر، حدثني بُسر بن عُبيد الله الحضرمي، أنه سمع أبا إدريس الخَوْلانيَّ، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال: **"نعم"**

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال: **"نعم وفيه دَخَن"**

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال: **"نعم؛ دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها"**

قلت: يا رسول الله ؛ صفهم لنا،

قال: **"هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا"**

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟

قال: **"تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم"**

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال: "فاعتزل تلك الفرقَ كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

أولاً: تخريج الحديث :

أخرجه البخاري ومسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه وأحمد والبيهقي في السنن الكبرى وفي الدلائل والبغوي في شرح السنة وغيرهم .

ثانياً: دراسة الأسانيد :

١- محمد بن المثنى بن عُبيد بن قيس العنَزَي البصري المعروف بالزَّمن، أخرج له أصحاب الكتب الستة، ثقة ثبت توفي سنة ٢٥٢هـ .

٢- الوليد بن مسلم القرشي الدمشقي عالم الشام ت ١٩٥هـ وهو ثقة كان مدلساً.

٣- ابن جابر: عبدالرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي أبوعتبة الشامي، الداراني، نسبة إلى داريا من قرى دمشق ثقة مات نحو سنة ١٥٠هـ .

٤- بُسْرُ بن عُبيد الله الحضرمي، الشامي ثقة حافظ، قال أبومُسْهِر: أحفظ أصحاب أبي إدريس عنه: بُسر بن عُبيد الله"[١٢] .

٥- أبوإدريس: عائذ الله الخَوْلاني ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين، سمع من كبار الصحابة، مات سنة ٨٠هـ، كان عالم الشام بعد أبي الدرداء .

٦- حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حُسَيْل العبسي، حليف الأنصار هو وأبوه صحابة، مات حذيفة سنة ٣٦هـ وحذيفة وأبوه صحابيان ﷺ ودخل حذيفة الشام وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق[١٣] .

---

[١٢]- تهذيب الكمال ٤/٧٦ .

ثالثاً: اختصاص حذيفة بأحاديث الفتن .

خص حذيفة رضي الله عنه بأخبار الفتن، فأحاديثه في الكتب الستة بلغت خمسة وتسعين حديثاً منها تسع وثلاثون في الفتن .

قال حذيفة: والله إني لأعلمُ الناس بكل فتنةٍ هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ في ذلك شيئاً، لم يحدثه غيري" [١٠].

وقال أيضاً: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله: ما يخرج أهل المدينة من المدينة ؟" [١١]

وكان الصحابة يعرفون علم حذيفة في الفتن فقد مر به عمر بن الخطاب وهو جالس في المسجد فقال: يا حذيفة، إنَّ فلاناً قد مات، فاشهده، قال: ثم مضى، حتى إذا كاد أن يخرج من المسجد التفت إليَّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليَّ فقال: يا حذيفة، أنشدك الله أمن القوم أنا ؟ - يعني المنافقين - قلت: اللهم لا، ولن أبريء أحداً بعدك . قال: فرأيت عيني عمر جاءتا" [١٢] .

ولعلم النبي ﷺ حرص حذيفة على التعرف على الفتن وأخبارها اتخذه أميناً لسره، وكان لا يحدث أحداً بشيء من أسماء المنافقين .

---

[١٠]- مختصر تاريخ دمشق ٣/٢٤٨ .

[١١]- مسلم ٤/٢٢١٦ ، ٢٨٩١ .

[١٢]- مسلم ٤/٢٢١٧ ، ٢٤ .

[١٣]- مختصر تاريخ دمشق ٣/٢٥٣ .

وقد روى مسلم خبراً وقع بين حذيفة وبين رجل من أصحاب عقبة تبوك، يوم كان أصحاب تلك العقبة يتآمرون لقتل النبي ﷺ فنجاه الله منهم، بيّن فيه حذيفة أن النبي ﷺ كان يحدثه بأخبار المنافقين[٣٢] .

رابعاً: لطائف السند :

١- رجاله شاميون عدا محمد بن المثنى فهو بصري .

٢- فيه رواية التابعي عن التابعي بُسر بن عُبيد عن أبي إدريس .

٣- في إسناده مخضرم وهو أبو إدريس الخَوْلاني .

خامساً:رحلة الحديث

سمع أبوإدريس الخولاني الحديث من حذيفة - في المدينة غالباً - ثم سار به إلى الشام ونقله الشاميون بينهم حتى وصل إلى محمد بن المثنى البصري وعنه أخذه البخاري .

سادساً: شجرة الإسناد :

حذيفة

أبوإدريس

بسر

ابن جابر

الوليد بن مسلم

محمد بن المثنى

---

[٣٢]- مسلم ٤/٢١٤٣ ح٢٧٧٩ .

سابعاً: ألفاظ التلقي والأداء .

فيه التحديث بصيغة الجمع والإفراد وفيه السماع، وهي أرقى صيغ التحمل والأداء، وقد صرح الوليد بن مسلم بالسماع فقال: حدثنا .

ثامناً: مناهج المصنف في الحديث :

أ- الترجمة للحديث فقد ترجمه بقوله: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟

ب- تكراره فقد ذكره في كتاب المناقب باب علامات النبوة .

تاسعاً: سبب ورود الحديث

سبب وروده ما جاء في روايتنا من أن حذيفة كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشر .

عاشراً: سبب إيراد الحديث

ما أورده أبوداود وابن حبان باسناد حسن صحيح وفيه قول سُبَيْع بن خالد روايه عن حذيفة:

أقبلنا مع أبي موسى قافلين من بعض مغازيه، قال: وغلت الدواب بالكوفة، قال: فاستأذنت أنا وصاحبي أبا موسى، فأذن لنا، فقدمنا الكوفة باكراً من النهار، وفي رواية أبي داود: أتيت الكوفة أجلب منها بغالاً[18] فقلت لصاحبي: إني داخلٌ المسجد فإذا قامت السوق، خرجت إليك فدخلت المسجد، فإذا أنا بحلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل، قال: فجئت فقمت عليهم، فجاء رجلٌ فقام إلى جنبي، فقلت للرجل: مَنْ هذا ؟ فقال: أبصري أنت ؟ قلت: نعم، قال: قد عرفتُ أنك لو كنت كوفياً لم تسأل عن هذا،

---

[18]-أبو داوود ٤/٩٥ ح٤٢٤٤ .

هذا حذيفة بن اليمان، فدنوت منه، فسمعته يقول: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير فذكر الحديث نحوه بزيادات[99] .

حادي عشر: الترجمة والمطابقة والتراجم الأُخرى :

قال العيني[100]: هذا باب يذكر فيه كيف أمر المسلم، يعني ماذا يفعل حال الإختلاف والفتنة ؟ وقوله: إذا لم تكن، أي إذا لم توجد، وقوله: جماعة: أي مجتمعون على خليفة .

قال: وحاصل معنى الترجمة أنه إذا وقع اختلاف ولم يكن خليفة، فكيف يفعل المسلم من قبل أن يقع الاجتماع على خليفة ؟ وفي حديث الباب بيان ذلك، وهو أن يعتزل الناس كلهم ولو بأن يعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت، وذلك خير له من دخوله بين طائفة لا إمام لهم خشية ما يؤول من عاقبة ذلك من فساد الأحوال باختلاف الأهواء وبسبب الآراء .

قال: ومطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: "فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام إلى آخره"

وقال ابن حجر: معنى الترجمة ما الذي يفعل المسلم في حال الاختلاف من قبل أن يقع الإجماع على خليفة ؟

قلت: ترجمته استفهامية مطلقة، ومعنى ذلك ؛ أنها جاءت على صيغة الاستفهام وأُطلق الحكم فيها فلم يُبَيِّنْ البُخاري حكم المسلم إذا لم تكن جماعة مجتمعة حول إمام خليفة .

وإنما أطلق البخاري الحكم اكتفاءً بوروده في الحديث .

وقد نترجم للحديث بتراجم أخرى مثل:

---

[99]- ابن حبان - الإحسان - ٢٩٨/١٣ .

[100]- العمدة ٧٧/٢٠ .

باب اعتراف المسلم بما كان يلتبس حياته من الجاهلية والشر

وباب السؤال عن الشر وأهله

وباب الاعتزال عند الفتن

وبابٌ في صفات الدعاة على أبواب جهنم

وباب إثبات أنَّ لجهنم أبواباً متعددة

وباب الموت خير من الحياة بلا جماعة وإمام .

ثاني عشر: اللغة وغريب اللفظ :

قوله: كان الناس يعني بهم الصحابة، وفي رواية البخاري في كتاب المناقب "تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر" .

قوله: يسألون: قلت: لعل هذا كان قبل نزول الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ (المائدة١٠١)،وقد نزلت في حجة الوداع [١٠١]

وقد كان النبي ﷺ يكره كثرة سؤالات الصحابة، أما الأعراب منهم فقد كانوا يكثرون من السؤال، وكان بعضهم يؤخر الهجرة حتى يتسع له في السؤال .

قوله الخير: أصل مادة الخير يدل على العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير: خلافُ الشر، لأن كل أحدٍ يميل إليه ويعطف على صاحبه، ومنه: الاستخارة، وهي الاستعطاف[١٠٢] .

---

[١٠١] – انظر الحديث السابع من هذه الدراسة فقرة سبب الورود.

[١٠٢]– ابن فارس : ٢/٢٣٢ .

قال الراغب: "الخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر، وفي الآية: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ (آل عمران ١٠٤) أي الإسلام. [١٠٣]

وفي الحديث: "خيركم خيركم لأهله" فيه حث على صلة الرحم .

والمعنى في حديثنا: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، أي عن سبله .

قوله: وكنت؛ القائل هنا حذيفة .

قوله: الشر؛ أصله يدل على التطاير والانتشار، من ذلك الشر مخالفة الخير، ورجل شرير لانتشاره وكثرته، والشر: بسطك الشيء في الشمس، والشر: ما تطاير من النار، واحدته: شررة[١٠٤] .

وقال الراغب[١٠٥]: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم﴾ (الأنفال ٢٢) وسمي شرار النار شراراً لاعتقاد الشر فيه ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ (المرسلات ٣٢) .

وفي الحديث: "الخير بيديك، والشر ليس إليك" أي أن الشر لا يُتقرب به إليك، ولا يبتغي به وجهك" وفي حديث آخر: "لا تُشَارّ أخاك" هو تفاعل من الشر، أي لا تفعل به شراً يحوجه إلى أن يفعل بك مثله[١٠٦] .

والمعنى في حديثنا كل ما يضاد الخير .

قوله:مخافة أصل مادة خوف يدل على الذعر والفزع، يقال: خفت الشيء خوفاً وخيفة[١٠٧] .

---

[١٠٣] – المفردات ٣٠١

[١٠٤] – ٣/١٨٠ فارس .

[١٠٥] – المفردات ٤٤٨.

[١٠٦] – النهاية ٢/٤٥٨ .

[١٠٧] – ٢/٢٣٠ ابن فارس .

قال الراغب[108]: الخوف: توقع مكروه عن أمارةٍ مظنونة، أو معلومة، ويضاد الخوف؛ الأمن، ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية" .

وفي وصف المؤمنين: ﴿ويخافون عذابه﴾ (الإسراء ٥٧) .

والخوف من الله لا يراد به الرعب، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي، واختيار الطاعات

وفي الحديث: "أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم" أي احترسوا منها، فإذا ظهر منها شيءٌ فاقتلوه، المعنى: اجعلوها تخافكم .

والمعنى في حديثنا: كما قال العيني: "أي لأجل مخافة أن يدركني الشر"[109] .

قوله: أن يدركني: أن مصدرية، يدرك فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: هو، والنون: نون الوقاية لا محل لها من الإعراب، والياء ضمير متصل مبني على النصب في محل مفعول به .

وأصل يدركني من دَرَكَ: وهو لحوق الشيء بالشيء، وفرس دَرَك الطريدة، لا تفوته طريدة، وتدارك القوم إذا تلاحقوا[110] .

قال الراغب[111]: الدَرَك: كالدرج، لكن الدرج يقال: اعتباراً بالصعود والدرك اعتباراً بالحدور.

ومنه الآيات:﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾(النساء ١٤٥)،﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ (طه ٧٧) أي لا تخاف تبعة .

---

[108]- المفردات ٣٠٣ .

[109]- ٧٨/٢ .

[110]- فارس ٢٦٩/٢ .

[111] - المفردات ٣١١

وفي الحديث: "أعوذ بك من درك الشقاء" فكأن درك لا تستعمل إلا في الشر .

والمعنى في حديثنا: خوفاً أن تلحق بي الشر ويصل إليَّ .

قال ابن حجر: في رواية نصر بن عاصم عن حذيفة عند ابن أبي شيبة: "وعرفت أنَّ الخير لن يسبقني"[١١٢].

قوله:إنا كنا في جاهلية وشر :

الجاهلية: الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما يدل على خفة وخلاف طمأنينة، والآخر خلاف العلم .

ومن الأول: استجهلتْ الريحُ الغصنَ، إذا حركته فاضطرب، والمجهلة: الأمر الذي يحملك على الجهل .

قال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب،

الأول: خلو النفس من العلم،

والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه،

والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل[١١٣] .

قال ابن الأثير[١١٤]: قد تكرر ذكر الجاهلية في الحديث، وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب والتجبر وغير ذلك .

قال ابن حجر[١١٥]: "يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر، وقتل بعضهم بعضاً، ونهب بعضهم بعضاً، وإتيان الفواحش" .

---

[١١٢]- ١٣/٤٤ .

[١١٣] - المفردات ٢٠٩.

[١١٤] - النهاية ١/ ٣٢٣

[١١٥]- ١٣/٤٤ .

وقد ورد في وصف الجاهلية أحاديث كثيرة، تبين معناها وتفضح صورتها المعتمة، وحالتها المظلمة في كل شعب من شعابها .

والجاهلية التي تعني الأحاديث حالة، حالة نفسية تصيب الأمم والشعوب والمؤسسات، كما تحتوش الأنفار والأشخاص والأفراد، تصيب هؤلاء وأولئك، كلما أوغلوا في دروبها المعتمة، فتعشقوها وتعشقتهم، إنها تصيب الذين لا يحتكمون لما أنزل الله .

ولهذا كانت الجاهلية، وكانت أحكامها تحت أقدام دعوة محمد ﷺ وهو يقول: "ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع"[١١٦] .

الجاهلية انحراف عن عبادة الله الحق، العبادة بمفهومها الشامل المطلق؛ التي تعني التحاكم إلى الله وحده في أمور الحياة كلها، ثم ما يترتب على هذا الانحراف من اضطراب وتوزع، وتمزق وتشتت .

والجاهلية التي وصف الصحابة ليست حكراً على الزمن الأول، إنها قدر كل المتنكبين عن السبيل، الضاربين بعرض الحائط أحكامَ دينهم، إن حذيفة لم يشغل نفسه في تعداد مظاهر الجاهلية، ذلك لترى العين كل ما خالف هذه الفطرة، كل ما صادها وصادمها، جاهليةً لا يجوز البقاء عليه، جاهلية وشراً لا يمحوهما غير منهاج النبوة، فجاءنا الله بهذا الخير.

قوله: فجاءنا الله بهذا الخير: قال ابن حجر: "يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال، واجتناب الفواحش، زاد مسلم في رواية أبي الأسود عن حذيفة: "فنحن فيه"، وكلمة الخير كلمة جامعة لكل معاني الفضيلة، والتقدم والازدهار .

---

[١١٦] – رواه مسلم كتاب الحج من حديث جابر في خطبة الوداع

فجاءنا الله بهذا الخير كي تذهب النفوس في تصوره في كل باب، الأمن والإيمان، والعدل والعدالة، والسلم والمسالمة، والتحضر والمدنية، والازدهار المطلق .

قوله: فهل بعد هذا الخير من شر ؟

استفهام له ما يسوغه، فإن حذيفة يدرك؛ أن إبراهيم عليه السلام كان هنا بالأمس، كعبة الله التي بنى، مقامه الذي قام فيه، آثاره وبعض أذكاره لا زالت تتداولها الأمم والألسن، فهل الذي وقع لإبراهيم عليه السلام قدره وحده أم للأمة المحمدية منه نصيب؟

قال: نعم .

قال ابن حجر: في رواية نصر بن عاصم: "فهل بعد هذا الخير من فتنة ؟" وفي رواية سبيع بن خالد عن حذيفة عند ابن أبي شيبة: "فما العصمة منه ؟ قال: السيف، قال: فهل بعد هذا السيف من تقية ؟ قال: نعم هدنة على دخن .

وسكت ﷺ فإنه لا يحسن دائماً الانطلاق في عرض المحنة وتقديمها ووصفها للناس .

نعم . قال ابن حجر: "المراد بالشر ما يقع من الفتن من بعد قتل عثمان وهلم جرا أو ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة، لكنه حذيفة: حذيفة الذي تتشعب نفسه وراء هذه الفتن يسأل عنها ويتشوق لمعرفتها، ليبصر ويبصرنا .

قوله: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

كذلك سؤال له ما يسوغه، فحذيفة لا زال قلبه مقرحاً من دروب الجاهلية المستعصية فهل سنعود إليها؟ إذن؛ فلنعد عدتنا إن لم يكن ثمة خير.

قوله:قال: نعم وفيه دخن .

وأصل مادة دخن: يدل على الذي يكون من الوقود، ثم يشبه به كل شيء يشبهه من عداوة ونظيرها .

والدُّخْنَة من الألوان: كدرة في سواد، ورجل: دَخِنُ الخلق: سَيِّئُهُ[١١٧] .

ودَخِن الطبيخ: أفسده الدخان .

وفي الآية: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾(فصلت ١١) .

لعله سبحانه أراد: أنها لا تماسك لها كالدخان[١١٨] .

وفي الحديث: "هدنة على دَخَن" أي على فساد واختلاف، تشبيهاً بدخان الحطب الرطب[١١٩] .

قال ابن حجر: "الدخن" الحقد والدغل وفساد القلب والثلاثة متقاربة المعنى، قال: "يشير إلى أنَّ الخير يجيءُ بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كدرة" .

وقيل: المراد بالدخن، الدخان، ويشير بذلك إلى كدر الحال . وقيل: الدخن كل أمر مكروه .

قال أبوعبيد – القاسم بن سلاّم –: "يفسر المراد بهذا الحديث، الحديث الآخر: "لا ترجع قلوب قومٍ على ما كانت عليه" وأصله: أن يكون لون الدابة كدورة، فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها إلى بعض .

قوله: قلت: وما دخنه ؟ السائل حذيفة، وإذا كانت أسئلة حذيفة تقوم على فكرة اتقاء الشر فإن من حقه أن يتابع الاستفسار .

قوله: قوم يهدون بغير هَدْيي .

قوم: هكذا لتعم كل جماعة تهدي بغير هَدْي محمد ﷺ

---

[١١٧]– فارس ٣٣٦/٢ .

[١١٨]– الراغب ٢١٠ .

[١١٩]– النهاية ١٠٩/٢ .

قوله: يهدون: الهاء والدال والحرف المعتل أصلان :

الأول: التقدم للإرشاد .

الثاني: بَعْثَةُ لَطَفٍ .

فالأول: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هاد.وينشعب هذا: فيقال: الهُدَى خلاف الضلالة، وأقبلت هوادي الخيل: أي أعناقها، وهادي الخيل: رعيلها الأول ؛ سمي هادياً لتقدمه .

والأصل الآخر: الهَدِيَّة: ما أهديت من لَطَفٍ إلى ذي مودة .

ومنه الهَدِيُّ: العروس، وقد هُدِيَتْ إلى بعلها هِدَاءً[١٢٠] .

قال الراغب[١٢١]: "الهِدَايَة: دَلاَلَةٌ بِلُطْفٍ؛ منه الهدية: وخص ما كان دلالة بـ "هَدَيْتُ" وما كان من إعطاءً بـ "أهديتُ" نحو: أهديته الهدية .

وقد تهكم الله تعالى من الكفار ونحوهم فقال: ﴿**فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾(الصافات ٢٣) .

قال الراغب: "استُعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم مبالغة في المعنى، والعرب تستعمل هذه الأسلوب :

قال عمرو بن معد يكرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ .

وورد اللفظ كثيراً في الحديث بمعانية .

قال في الفتح[١٢٢]:"قوم يهدون بغير هديي" بياء الإضافة للأكثر وبياء واحدة مع التنوين للكشميهني ، وفي رواية أبي الأسود: "يكون بعدي أئمة

---

[١٢٠]- ابن فارس ٦/٤٢ .

[١٢١]- المفردات ٨٣٥ .

[١٢٢] - الفتح ١٣/٤٥

يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي"، والمعنى في حديثنا: "أنهم لا يمضون على طريقته ﷺ وسنته"

قوله: "تعرف منهم وتنكر" .

تعرف: يدل أصل الوضع للمادة على معنيين اثنين:

الأول: العُرْف، عُرْف الفرس، سمي بذلك لتتابع الشعر عليه .

والثاني: المعرفة، والعرفان، ومنه عرفته وهذا أمر معروف[١٢٣] .

ولعل الكلمة في حديثنا تتصل بأصل الوضع الأول من حيث أن المعروف الذي تعرفه لهم، له سابقة، تتصل به، من سنة ماضية أو أثر سابق. كما تتصل بأصل الوضع الثاني من حيث؛ أن ما تعرفه منهم معروف معلوم له دليله الذي يدل عليه .

قال الراغب[١٢٤]: "المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، وهو أخص من العلم، ويضاده الإنكار .

وفي سورة يوسف عليه السلام : ﴿**فعرفهم وهم له منكرون**﴾ (يوسف ٥٨) .

والمعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات، وهو من الصفات الغالبة بين الناس؛ أي أمر معروف بين الناس؛ إذا رأوه لا ينكرونه[١٢٥] .

والمعنى في حديثنا أنك ترى منهم أموراً مقبولة حسنة لها أصل من الدين وسابق من سلف .

---

[١٢٣]- ٤/٢٨٠ .

[١٢٤]- المفردات ٥٦٠ .

[١٢٥]- ابن الأثير ٣/٢١٦ .

قوله: وتنكر "النون والكاف والراء، أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه[١٢٦] .

ويرى الراغب أنّ أصل الإنكار: أن يَرِدَ على القلب مالا يتصوره، وذلك ضرب من الجهل؛[١٢٧] والمنكر الذي تنكره في هذا الحديث معناه الأعمال التي لا تتفق مع الدين.

قال ابن حجر في حديث أم سلمة عند مسلم: "فمن أنكر بريء ومن كره سلم"، والمعنى: أن الخير الذي يأتي بعد الشر الأول لا يكون صافياً، ففيه أمور من أمور المعروف تختلط معه أمور أخرى من أمور المنكر، وهذا الذي أوجزه النبي ﷺ بقوله: "نعم وفيه دخن" .

قوله: "دعاة على أبواب جهنم" .

دعاة: قال ابن فارس: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء بصوت وكلام يكون منك، دعوت أدعو دعاءً .

والدعاء والنداء معناهما واحد وفي الآية: ﴿**كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً**﴾ (البقرة ١٧١) .

وفي الحديث عن ضرار بن الأزور قال: بعثني أهلي بلقوح إلى النبي ﷺ فحلبتُها فقال: "دع داعي اللبن"[١٢٨]، ومعنى داعي اللبن: بقية تُبقَى في الضرع تجلب ما بعدها،وكلمة داعية تستعمل في الدعوة إلى الخير كما تستعمل في الدعوة إلى الشر ومنه الآية:﴿**ياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار**﴾ (غافر ٤١) .

---

[١٢٦]- معجم المقاييس ٤٧٦/٥ .

[١٢٧]- المفردات ٨٢٣ .

[١٢٨]- أبوعبيد في الغريب وأحمد في المسند ٧٦/٤ .

فقد استعملتْ هنا لتدل على المعنيين ؛ الدعوة إلى الحق والدعوة إلى الباطل، قال ابن حجر: "دعاة جمع داعٍ أي إلى غير الحق"[١٢٩]، قال العيني: "قال ذلك باعتبار ما يؤول إليه مالهم"[١٣٠] .

قال القسطلاني: "جماعة يدعون الناس إلى الضلالة، ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس، وأطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه مالهم، كما يقال لمن أمر بفعل محرم، وقف على شفير جهنم"[١٣١] .

قوله: أبواب جهنم قال ابن دريد وغيره، الباب معروف. وقال الراغب: يقال لمدخل الشيء باب، وأصل ذلك مداخل الأمكنة، كباب المدينة والدار والبيت، وجمعه أبواب وقد ورد بالإفراد والجمع في قوله تعالى: ﴿**لا تدخلون من بابٍ واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة**﴾ (يوسف ٦٧)

وقال أيضاً: قد يقال: أبواب الجنة، وأبواب جهنم، للأشياء التي بها يُتوصّل إليهما[١٣٢]، وفي الآية: ﴿**ادخلوا أبواب جهنم**﴾ (النحل ٢٩) .

قوله: جهنم اسم لنار الله الموقدة وفي أصل وضع الكلمة خلاف بين العلماء .

قوله: من أجابهم وأصل مادة جوب يدل على مراجعة الكلام، يقال: كلمه فأجابه جواباً[١٣٣]. والكلمة معروفة الاستخدام في الكتاب والسنة ومنه الآية: ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا**﴾ (النمل ٥٦) . والجواب يقال في مقابلة السؤال، ومنه الآية ﴿**أجيبوا داعي الله**﴾ (الأحقاف ٣١)[١٣٤] .

---

[١٢٩]- ١٣/٤٥ .

[١٣٠]- ٢٠/٧٨ .

[١٣١]- ١٠/١٨٣ .

[١٣٢]- المفردات ١٥٠ .

[١٣٣]- ابن فارس ١/٤٩١ .

[١٣٤]- المفردات ٢١٠ .

سيرتهم ومضى على طريقتهم .

قذوقوه: يقول ابن فارس: "يدل أصل المادة على الرمي والطرح، يقال: قذف الشيءَ يقذفه قذفاً، إذا رمى به، وبلدة قذوف، أي طروح لبعدها تترامى بالسفر . والقذيفة، الشيءُ يرمى به"[١٣٥]، وقال الراغب: القذف: الرمي البعيد، ومنه الآية: ﴿ويقذفون من كل جانب دُحُوراً﴾ (الصافات ٨، ٩) .

واستعير القذف للشتم كما استعير الرمي ."[١٣٦].

وفي حديث "على رسلكما" قوله ﷺ : "إني خشيت أن يَقْذِفَ في قلوبكما شراً" أي يلقى ويوقع . والمعنى في الحديث: ألقوه من مكان بعيد إلى جهنم، كما يطرح الشيء ويرمى .

قوله: فيها تفيد الاستغراق .

قوله: صفهم لنا الوصف تحلية الشيء، والصفة: الأمارة اللازمة للشيء، قال الراغب: الوصف ذكر الشيء بحليته ونعته والصفة: الحالة التي عليها الشيء.

وقد يكون الوصف حقاً وباطلاً: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتهم الكذب﴾ (النحل ١١٦) . والمعنى في الحديث: بين لنا الأمارات التي تدل عليهم من صفة لازمة لهم أو حلية لا ينفكون عنها .

قوله: هم من جلدتنا "الجيم واللام والدال واحد يدل على قوة وصلابة، فالجلد معروف، وهو أقوى وأصلب مما تحته من اللحم"[١٣٧]. قال الراغب:

---

[١٣٥]- ٦٨/٥ .

[١٣٦] - المفردات ٦٦٢.

[١٣٧]- معجم المقاييس ٤٧٢/١ .

الجِلْدُ: قشر البدن وجمعه جلود، وفي الآية: ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها**﴾ (النساء ٥٦)، قال ابن الأثير: "قوم من جلدتنا" أي من أنفسنا وعشيرتنا، قال ابن حجر: "هم من جلدتنا" أي من قومنا ومن أهل لساننا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب، قال الداودي: أي من بني آدم، وقال القابسي: معناه أنهم في الظاهر من ملتنا وفي الباطن مخالفون، وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن، قيل: ويؤيد إرادة العرب أن السمرة غالبة عليهم واللون إنما يظهر في الجلد، ووقع في رواية أبي الأسود: "فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسان" .

قوله: ويتكلمون بألسنتنا، أصل مادة كلم يدل على نطق مفهم[١٣٨] .

قوله: بألسنتنا: اللسان الجارحة، وأصل وضعه يدل على طول لطيف غير باتن في عضو أو غيره، من ذلك اللسان وهو معروف وجمعه ألسن، فأذا كثر فهي الألسنة، ومنه الآية: ﴿ **واختلاف ألسنتكم وألوانكم** ﴾(الروم ٢٢). فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات، وإلى اختلاف النغمات، فإن لكل إنسان نغمةً مخصوصةً يميزها السمع، كما أن له صورةً مخصوصةً يميزها البصر، قاله الراغب في المفردات في مادة لسن.

قوله: فما تأمرني، يدل أصل مادة أمر على أصول خمسة ؛ أحدها الأمر ضد النهي، وهو المقصود في هذا الحديث ومنه الآية: ﴿**إليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه**﴾ (هود ١٢٣) . وسبق معنى الإدراك في قوله: مخافة أن يدركني.

قوله: تلزم جماعة المسلمن وإمامهم، وأصل مادة لزم يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً، والمعنى في الحديث تبينه رواية مسلم: "تسمع

---

[١٣٨]- ٥/١٣١ .

وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" وفي رواية الطبراني: "فإن رأيت خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك، فإن لم يكن خليفة فالهرب" .

قوله:جماعة يدل أصل وضع مادة جمع على تَضَامٌ الشيء ومنه قولهم: جمعت الشيء جمعاً، ومنه الجُمَّاعُ وهو تجمع أناس من قبائل شتى .

والمعنى كما قال الطبري: المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث ببيعته خرج عن الجماعة، ومعنى جماعة المسلمين: الذين على دين الإسلام .

قوله: وإمامهم، قال ابن حجر: إمامهم أميرهم .

قوله: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام: إن حذيفة ينظر إلى الغيب من ستر رفيق، وهذا أصل في دراسات استشراق المستقبل والتعرف عليه .

قوله: "فاعتزل تلك الفرق كلها" .

قوله: اعتزل: أمر قد يفيد هنا الوجوب، وأصل مادة عزل يدل على تنحية وإمالة، ومنه: جلس بمعزلٍ عن أصحابه، إذا تنحى عنهم .

والاعتزال يكون بالبدن ويكون بالقلب ؛ ومنه الآية: ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله** ﴾ (الكهف ١٦) .

وتلك اسم إشارة يستعمل للبعيد .

الفرق: يدل أصل وضع المادة على تمييز وتزييل بين شيئين، منه: فرق الشعر، والفرق القطيع من الغنم.

والمعنى في حديثنا: الجماعات المفترقة الشاذة كلٌ في طريق .

قوله: ولو أن تعض العين والضاد أصل واحد صحيح، وهو الإمساك على الشيء بالأسنان، قال الراغب: أزْم بالأسنان .

وفي الآية: ﴿**عضُّوا عليكم الأنامل**﴾ (آل عمران ١١٩) والأخرى: ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه**﴾ (الفرقان ٢٧) .

وفي الحديث: "عَضُّوا عليها بالنواجذ" قال ابن الأثير: هذا مثل في [illegible] قال ابن الأثير: "العَضِيضُ" اللزوم، يقال: عَضَّ عليه يَعَضُّ عَضِيضاً إذا لزمه، والمراد به اللزوم، ومنه الحديث: "ولو أن تعض بأصل شجرة"[١٣١] .

قال ابن حجر: لو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه، ووقع في رواية عبدالرحمن بن قرطٍ عن حذيفة عند ابن ماجه: "فلأن تموت وأنت عاض على جذل، خير لك من أن تتبع أحداً منهم" .

ومعنى وأنت على ذلك أي على الحالة التي تكون فيها عاضاً على أصل شجرة . وأصل الشجرة جذعها وأرومتها، والأصل في اللغة أساس الشيء .

ولا يبعد أن معنى الشجرة هنا أصل شجرة الإيمان كما في الآية: **﴿ألم تَرَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة، كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء﴾** (إبراهيم ٢٤) .

قوله: حتى يدركك الموت ، الموت؛ الفناء، وأصله يدل على ذهاب القوة من الشيء، وهو خلاف الحياة، قال ابن حجر: قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل شجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم: فلان يعض الحجارة من شدة الألم .

---

[١٣١]- النهاية ٣/٢٥٣ .

ثالث عشر: معنى الحديث

يبين الحديث أن الناس من صحابة رسول الله ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن أمور الإسلام ودعوة الخير. وأن حذيفة بن اليمان كان يسأل عن الشر لئلا يصل إليه .

وحدث أنَّ حذيفة سأل النبي ﷺ عن هذا الخير الذي امتن الله به على المسلمين أيعقبه شر كما سبق أن حدث في الدعوات والرسالات السابقة؟ فأجابه النبي ﷺ بقوله: نعم . ولم يسترسل النبي ﷺ في ذلك .

فسأله حذيفة: وهل بعد ذلك الشر من خير فقال: نعم وفيه كدورة وهي الدخن، فسأله عن هذه الكدورة فبين أنها فترة تختلط فيه السنة بالبدعة والمعروف بالمنكر .

ثم سأل: أيعقب الشرُ ذلكَ الخيرَ ذا الكدورة، فقال: نعم، وبيَّن النبي ﷺ حال ذلك الشر؛ من وجود دعاة إلى النار، يدعون الناس إلى شعابها الشائكة، وأنهم يقذفون إلى النار كل أحدٍ يجيبهم إليها .

ثم أدرك حذيفة عندئذ ضرورة التعرف على قارب النجاة عندئذ، فقال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

وهذا حذيفة ينظر كاشفاً ستر الغيب بقوله:" فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام" يلتفون حوله ويبايعونه .

فقال النبي ﷺ: اعتزل، والاعتزال يعني الابتعاد عن دعاة جهنم مهما كلف ذلك، حتى ولو عض المسلم حقيقة على جذع الشجرة حتى الموت .

رابع عشر: أحكام الحديث

١- مشروعية السؤال والاستفسار عن الحاضر والماضي والمستقبل، وعن الشر وأصحابه، وأوصافهم وأسمائهم إن أمكن .

٢- مشروعية دراسات استشراف المستقبل والتعرف عليه، وتوجيه مَنْ يختصون لذلك من العلماء والأساتذة .

٣- جواز تحديث المسلم عن فضله وسبقه الآخرين، وتفرده في بعض أبواب العلم والمعرفة، وذلك من قول حذيفة: "وكنت أسأله عن الشر" وكان الصحابة يحدثون عن فضلهم وعلمهم وتفردهم في بعض الأبواب كعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وسلمة بن الأكوع وغيرهم .

٤- في الحديث دليل على الخوف من الشر وأصحابه ومحاولة الاحتياط لذلك بسؤال أهل العلم عن سبل الحذر من الشر وأهله .

٥- في الحديث دليل على جواز تحديث المسلم عن الجاهلية وما كان منه فيها .

٦- في الحديث دليل على الاعتدال والاعتراف بفضل الناس، وعدم غمطهم حقهم، وذلك من قوله ﷺ: "نعم وفيه دخن" عن الخير الذي يعقب الشر، فأثبت لهم الخير رغم ما فيهم من تعمد السير على غير هدي النبوة وكثرة ما تنكر عليهم .

٧- في الحديث إثبات صفة من صفات جهنم، وأنه لها عدة أبواب يقف الدعاة إليها على أبوابها لقذف الناس فيها .

٨- وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وإنْ كثر فيه الشر ما دام مسلماً غير آت بكفر ظاهر بَوَاح، وحكم من اختلطت فيه السنة بالبدعة، والطاعة بالمعصية أنه يوالى بقدر ما فيه من الطاعة ويُبْرَأ منه بقدر ما فيه من البدعة والمعصية، ذكر ذلك ابن تيمية في فتاواه .

٩- قال ابن حجر: قال الطبري: في الحديث إنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع المسلم أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر .

١٠- قال ابن حجر: قال ابن أبي جمرة[١٤٠]: "حكمة الله تعالى في عباده، كيف يعطي لكل شخص ما شاء الله أن يقيمه فيه، يؤخذ ذلك من أنه عز وجل حبب للصحابة ﷺ سؤالهم له ﷺ عن وجوه الخير: كي يقتبسوها ويكونوا باباً لها وحبب لهذا السيد سؤاله له ﷺ عن وجوه الشر كي يحذرها، ويكون سبباً في سدها عمن قدر الله تعالى له النجاة منها .

١١- قال عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي:[١٤١]

فيه الاعتبار فيما أعطى الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ من سعة الصدر والمعرفة بحكمة الحكيم الذي يجاوب كل شخص عما سأل ويعلم أن ذلك الذي شاء الحكيم أن يقيمه فيه ويسدده له .

١٢- فيه دليل على أن كل ما كان يهدي إلى طريق الآخرة ويهدي إلى أنواع الرشاد، وكل ما قرب إلى الله سبحانه يسمى خيراً لغة وشرعاً، وأن كل كفر وضلالة أي نوع كانت، كبرى أو صغرى، وكل ما دعى إليها يسمى شراً لغة وشرعاً[١٤٢] .

١٣- فيه دليل على أن ما على المرء في الدين إلا نفسه، يؤخذ ذلك من قول حذيفة رضي الله عنه فما تأمرني إن أدركني ذلك، فما سأل إلا عن نفسه؛ كيف يكون خلاصه[١٤٣] .

١٤- يرى ابن أبي جمرة أن الجماعة التي لا إمام لها، أو الإمام الذي لا جماعة له، أولى من الانفراد، قال: "فالبقاء مع أحدهما خير من الانفراد،

---

[١٤٠]- بهجة النفوس ٤/٢٦١ .

[١٤١] - المصدر السابق ٤/٢١٦.

[١٤٢]- ابن أبي جرة ٤/٢٦٢ .

[١٤٣]- ٢/٢٦٤ .

لأنه أعون على الدين" فإن لم يكن إلا الفرار بالدين، فالفرار ؛ يؤيد ذلك الآية:﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ .

١٥- قال ابن حجر(والمعنى عن ابن أبي جمرة): يؤخذ منه أن كل من حبب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، ويؤخذ منه من أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة، فإنه أجدر أن يُسرع إلى تفهمه والقيام به .

خامس عشر: اللطائف الدعوية والتربوية

١- قوله: "مخافة أن يدركني" فيه الخوف من الفتن، وأنها إن تعاصر العبد تعصره، وإن تكثر تكاثره، وذلك من قوله: "يدركني" فكأنه يرى الشر سيلاً جارفاً لا يدع شيئاً في طريقه إلا أدركه جرفه .

والخوف المقصود هنا هو: "الحث على التحرز، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ ذلك يخوف الله به عباده﴾(الزمر ١٦) وقريب منه الخشية ؛ وهي الخوف الذي يشوبه تعظيم: ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾(فاطر ٢٨).

والصحابي هنا لا يخاف على نفسه من الفتنة أن يتلوث بها، فإن يكن الأمر كذلك فإنه ضامن لنفسه، لكنه يرمي إلى أن الفتن لا تدع من أدركته حتى تلوثه، ولذلك قال: "مخافة أن يدركني" ولم يقل: "مخافة أن أتلوث بها" مثلاً .

٢- في قوله: "إنا كنا في جاهلية وشر" لطف وتأدب واعتراف بالفضل، فالمعنى لولا أنت يارسول الله لبقينا في الجاهلية والشر .

٣- وفي قوله: "فجاءنا الله بهذا الخير" لطف وتأدب أيضاً، وذلك في نسبة الخير إلى الله تعالى، فالخير ينسب إلى الله مطلقاً ولا ينسب إليه الشر إلا مقيداً .

٤- في الحديث لطيفة تدل على تداول القوة والضعف على الناس، فلا يفرحن أحد بقوته ولا يحزن غيره لضعفه، فالحديث يبين تعاقب الخير والشر على الناس، مَنْ كانوا: "إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: نعم" وهذا المعنى غير بعيد عن قوله تعالى: ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾(آل عمران ١٤٠) .

وفي هذه اللطيفة دفعة للمستضعفين كي يمضوا في طريق الاستعلاء، فإن القوة لا تعطى لأحدٍ أبد الدهر، كما أن فيها عظة للذين يمتلكون القوة دهراً من الزمن، لكي لا يفتروا فيظلموا أو يبطشوا ولأجل أن يعلموا أن نهاية قوتهم آتية، وكل آت قريب .

٥- في قوله: "قوم يهدون بغير هديي" لطائف .

الأولى: أن النبي ﷺ ذكرهم بالتنكير دون اضافتهم إلى أمر شريف، فلم يقل مثلاً: قومي أو نحوه، وفيه درس في إنزال الناس منازلهم .

والثانية: الاستهزاء بهم وتبكيتهم، إذ هم في الحقيقة لا يهدون ما داموا على غير هدى النبي ﷺ وهذا درس في الاستهزاء بالذين يسيرون غير سيرة النبي ﷺ ويترسمون غير خطاه.

٦- في قوله: "تعرف منهم وتنكر" إشارة إلى اختلاط الخير بالشر عند هؤلاء الناس، وأن مصاحبة أمثالهم لا تكون على الإطلاق، فيصاحبون على الخير ولا يصاحبون على المنكر .

٧- قوله: "دعاة على أبواب جهنم" .

فيه كثرة شعاب جهنم، وأنها أبواب متعددة، وهذا يتفق مع الآية: ﴿ ادخلوا أبواب جهنم﴾ ومع الحديث: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات" وهذا يعني أن الإنسان يولد وأمامه أبواب كثيرة مشرعة، وسبل مفتحة، تضيق عليه كلما تقدمت به الحياة فتؤدي به إما إلى الجنة أو إلى النار، فالحذر والحيطة .

٨- في قوله: "من أجابهم إليها قذفوه فيها" لطائف .

الأولى: سرعة انغماسه معهم في سلوك طريق أهل النار، فما أن يجيب حتى يقذف فيها .

والثانية: عدم اكتراثهم بمن أجابهم، فهم يقذفونه قذفاً، ولم يستعمل لفظاً آخر يحتمل أي معنى من معاني التوقير أوالاحترام وقد كانوا يدعونه قبل قليل وما انفك يطاوعهم حتى أجابهم .

وهذا دأبهم كما في الآية: ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾(الأعراف ٣٨) .

والثالثة: دخولهم في درك النار الأسفل، وذلك من قوله: "فيها" التي تفيد الاستغراق .

٩- قوله: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا" لطائف .

الأولى: أنهم منا نحن العرب المسلمين، فالعربية اللسان ولم ينف النبيﷺ صفة الإسلام عنهم.

والثانية: أن أكثر بضاعتهم الكلام لا العمل .

والثالثة: أنهم من شتى طوائف العرب وألسنتهم، وذلك من قوله بألسنتنا التي تعم كل ألسنة العرب .

١٠- قوله: فما تأمرني

فيه خطورة الخَطْب، فالمسألة لا تحتمل غير الأمر والنهي، والأمر والنهي من القيادة ولا مجال عندئذ للتردد والتريث، فأمر ونهي فقط.

١١- قوله: "تلزم جماعة المسلمين" فيه لطائف.

الأولى: الأمر لا يحتمل إلا الالتزام المطلق للجماعة ذات الإمام، أو الإمام أو للجماعة بلا إمام كما أفاد ابن أبي جمرة. ولفظ تلزم أشد التصاقاً بالجماعة من لفظ تصحب ونحوه.

والثانية: جماعة المسلمين، ولم يقل المؤمنين كي يُشْعِر بأنها لن تصل في ذلك الظرف درجة الإيمان الكاملة.

١٢- قوله: "حتى يدركك الموت" فيه الموت أولى عند تعاقب الفتن من حياة ملأى بالمنكرات.

الحديث الخامس

قال الإمام البخاري في كتاب الفتن:

بابٌ إذا بقي في حُثَالَةٍ من الناس

قال: حدثنا محمد بن بُكَيْر، أخبرنا سفيان، حدثنا الأعمش عن زيد بن وَهْب، حدثنا حُذَيْفَة ﷺ قال:

حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيتُ أحدهما، وأنا أنتظر الآخر: حدثنا "أنَّ الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة"

وحدثنا عن رفعها قال:

"ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكْت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المَجْل، كجمر دحرجتَه على رجلك، فَنَفِطَ فتراه مُنْتَبِرَاً، وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إنَّ في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقلَه وما أظرفَه وما أجلدَه وما في قلبه مِثْقَال حَبَّة خَردَلٍ من إيمان"

ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً رده عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانياً رده عليَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً".

أولاً: تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في ثلاثة مواطن من صحيحه. وأخرجه مسلم وكرره مرتين. وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد في المسند، والبيهقي في السنن الكبرى والطيالسي في المسند وابن حبان في الإحسان [1].

ثانياً: دراسة السند:

١- محمد بن كثير العبدي، البصري، ثقة، مات سنة ٢٢٣هـ وله تسعون سنة أخرج له الستة.

٢- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبوعبدالله الكوفي، ثقة حافظ، فقيه عابد، إمام حجة، كان ربما دلّس، مات سنة ١٦١هـ وله أربع وستون سنة، أخرج له الستة.

٣- الأعمش: سليمان بن مِهْران الأسدي الكاهلي، أبومحمد الكوفي، ثقة حافظ ورع كان يدلس، مات سنة ١٤٧هـ أخرج له الستة، ذكره ابن حجر في نزهة الألباب في الألقاب [2]

٤- زيد بن وَهْب الجُهَني، أبوسليمان الكوفي، مخضرم، ثقة جليل، مات بعد سنة ثمانين وقيل سنة ست وتسعين، أخرج له الستة.

٥- حذيفة ﷺ : قد سبقت ترجمته في الحديث الرابع.

---

[1] - ١٥/١٦٤.

[2] - نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر ١/٨٨

ثالثاً: لطائف الإسناد:

١- إسناده كوفي غير شيخ البخاري، محمد بن كثير وقد دخلها، ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء[٣].

٢- في إسناده مخضرم وهو الراوي عن حذيفة ﷺ، زيدُ بنُ وَهْبٍ الجُهَنِي، ذكر ذلك ابن حجر، في التهذيب والتقريب، وبينه في الإصابة.

رابعاً: رحلة الحديث:

حديثنا مدني حدث به النبي ﷺ أصحابه به في المدينة غالباً، ونقله حذيفة ﷺ إلى الكوفة، فحدث به هناك، حتى جاء محمد بن كثير البصري فأخذه عنهم، ثم نقله إلى البصرة، وعنه أخذه البخاري بالبصرة.

خامساً: شجرة الإسناد:

النبي ﷺ

حذيفة ﷺ

زيد بن وهب

الأعمش

سفيان

محمد بن بكير

البخاري

سادساً: ألفاظ التلقي والأداء:

فيه التحديث والإخبار بصيغة الجمع، وفيه عنعنة الأعمش وهو مدلس، ذكره ابن حجر في الطبقة الثانية من طبقات المدلسين [٤] وهم: مَنْ

---

[٣]- ١٠/٣٨٤.

[٤] - طبقات المدلسين ص ٥٢.

احتمل الأئمة تدليسهم، وأخرجوا لهم الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم. فتدليسه لا يضر هذه الرواية، ولم أقف له على رواية يصرح فيها بالسماع.

سابعاً: مناهج المصنف في الحديث.

١- الترجمة للحديث، فقد ترجمه بقوله: بابٌ إذا بقي في حثالة من الناس وهي جزء من حديث لأبي هريرة صحيح لكن ليس على شرطه.

٢- تكرار الحديث؛ فقد أخرجه في ثلاثة مواطن:

الأول: كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة.

والثاني: كتاب الفتن، وهو هذا.

والثالث: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

٣- الالتزام بضبط الرواية كما هي، فالرواية فيها إدراج، وقد التزم البخاري روايتها كما جاءت؛ فلم يبين الإدراج في الرواية ولم يفصله عنها، وهذا دليل على دقة المحدثين في رواية الحديث.

ثامناً: سبب ورود الحديث.

لم أقف له على سبب ورود أو سبب إيراد.

تاسعاً: المطابقة بين الترجمة والحديث.

ترجمة البخاري هنا بقوله: بابٌ إذا بقي في حثالة من الناس:

قال العيني: مطابقته للترجمة تؤخذ من معناه.

قال ابن حجر: وهذه الترجمة لفظ حديث أخرجه الطبري وصححه ابن حبان من طريق أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : كيف بك يا عبدالله بنَ عمرو إذا بقيت في حثالة من الناس، قد مَرِجَت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا، وشبك بين أصابعه. قال: فما تأمرني ؟ قال: عليك

بخاصتك ودع عنك عوامهم". قال ابن حجر: قال ابن بطال: أشار البخاري إلى هذا الحديث ولم يخرجه لأن العلاء ليس من شرطه، فأدخل معناه في ماجه، باب ذهاب الأمانة. وترجمة ابن حبان في كتاب التاريخ بقوله: باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، ذِكْرُ الإخبار عما ينقص الخير في آخر الزمان.

أما البيهقي فقد ترجمه بقوله: باب مسألة القاضي عن أحوال الشهود، ففي الناس بر وفاجر وأمين وخائن.

ومجموع ترجمة الأئمة مستفاد من معنى الحديث بوجه من الوجوه.

ومعنى ترجمة البخاري، بابٌ إذا بقي المسلم في حثالة من الناس، ماذا يفعل؟ والجواب ما بينه الحديث.

عاشراً: الإدراج في هذا الحديث:

في حديثنا إدراج، فقد أدرج حذيفة كلامه أول الحديث، وآخره، أما الإدراج الذي في أوله فقوله: " رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر" وإدراجه الذي في آخره قوله:" ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً رده عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانياً رده عليَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً".

والإدراج كما قال النووي في التقريب: أن يذكر الراوي عقب الحديث كلاماً لنفسه أو لغيره فيرويه مَنْ بَعْدَه متصلاً فيتوهم أنه من الحديث[٥].

قلت: قال النووي "عقب الحديث" للتغليب؛ وإلا فقد وقع الإدراج في أول الحديث مراراً. وكان الصحابة ﷺ يشيرون إلى معنى الحديث بذكر أمر بين يديه؛ كما يروي مالك أنه بلغه أن عبد الرحمن بن أبي بكر دخل على عائشة زوج النبي ﷺ يوم مات سعد بن أبي وقاص فدعى بوَضوء فقالت عائشة:يا عبد الرحمن؛أسبغ الوضوء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:"ويل للأعقاب من النار"[٦]

وقد وقع فصل كلام حذيفة في حديثنا هذا من رواية البيهقي قال: قال حذيفة ﷺ : ولقد أتى عليَّ زمان[٧]. وفي رواية مسلم ادراج آخر غير الذي أورده البخاري قال: "ثم أخذ حصىً فدحرجه على رجله" وفي رواية ابن ماجه بيان هذا الآخذ، قال ابن ماجه: "ثم أخذ حذيفة كفاً من حصى، فدحرجه على ساقه"[٨]

حادي عشر: اللغة وغريب اللفظ.

قوله: حُثَالَة، الحاء والثاء واللام أصل واحد يدلُّ على سوء وحقارة، فحثالة البُرِّ: رَدِيُّهُ، وحُثَالة الدُّهن وما أشبهه: ثُفْلُه[٩].

قال ابن الأثير[١٠]: الحُثَالة: الرديء من كل شيء، ومنه حثالة الشعير والأَرُزّ والتَّمْر، وكُلِّ ذي قِشْر. قال: وحثالة الناس؛ أراذلهم. ولم تقع الكلمة في القرآن الكريم.

٥- تدريب الراوي ٢٦٨/١.

٦- ابن أبي شيبة في المصنف ٢١١/١

٧- البيهقي في السنن الكبرى ١٢٢/١٠.

٨- ابن ماجه في سننه ١٣٤٦/٢ح٤٠٥٣

٩- ابن فارس: ١٣٧/٢.

وقال البخاري: الحثالة والحفالة بمعنى واحد، وقال الخطابي: الحُفَالة والحُثَالة: الرُّذَالة من كل شيء، ويقال: هي آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه، والثاء والفاء يتعاقبان كقولهم: ثوم وفوم[11].

وقال ابن التين: الحثالة: سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما. وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة، ويبقى من التمر بعد الأكل.

قوله: حدثنا حديثين؛ اي في باب الأمانة؛ أحدهما في نزول الأمانة، والآخر في رفعها.

قوله: الأمانة؛ لمادة أمِنَ أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان متدانيان[12].

قال الراغب: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ومنه الآية: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ (آل عمران ٩٧)، ومنه الآية الأخرى: ﴿وتخونوا أماناتكم﴾(الأنفال ٢٧).

قال ابن الأثير: الأمانة تقع على الطاعة، والعبادة، والوديعة والثقة والأمان[13].

والمعنى في حديثنا كما قال النووي: "أما الأمانة فالظاهر أنّ المراد بها التكليف الذي كلف الله تعالى به عباده، والعهد الذي أخذه عليهم، وقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ قال ابن عباس: هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على العباد، وقال الحسن: هو الدين والدين كله أمانة، وقال أبوالعالية: الأمانة ما أُمروا به وما نهُوا عنه

---

[10]- النهاية ١/٣٣٩.

[11]- أعلام الحديث ٣/٢٢٤٤، ١١٥٧.

[12]- ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ١/١٣٣.

[13]- النهاية ١/٧١.

وقال: فالأمانة في قول جميعهم؛ الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب. قال النووي: قال صاحب التحرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إنَّا عرضنا الأمانة﴾ وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها، وجد في إقامتها"[١٤].

قال البدر العيني: "حاصل المعنى أن الأمانة كانت لهم بحسب الفطرة، وحصلت لهم بالكسب أيضاً بسبب الشريعة"[١٥].

قوله: نزلت: المعنى من حيث أصل الوضع يدل على هبوط شيء ووقوعه. والمعنى في الحديث: أن الله تعالى أنزل أصل الدين في أصل قلوب الرجال.

قوله: جِذْر: بفتح الجيم وكسرها، الجيم والذال والراء أصل واحد وهو الأصل من كل شيء، حتى يقال لأصل اللسان جذر، قال الأصمعي: الجذر: الأصل من كل شيء، والمعنى: كما قال ابن الأثير: "جذر قلوب الرجال: أصلها".

قوله: قلوب: جمع قلب، وأصل وضع المادة يدل على أمرين؛ أحدهما يدل على خالصِ شيءٍ وشريفه، وهو المعني في الحديث. وقلب الإنسان: لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه[١٦].

قال ابن الأثير: القلوب: جمع القلب، وهو أخص من الفؤاد في الاستعمال، وقلب كل شيء لُبُّه وخالصه، والمعنى: الأفئدة التي ورد في وصفها في القرآن أنها وجلة، وخاشعة ونحو ذلك، وفي الحديث: "إن في ابن آدم مضغة إذا صلحت صلح الجَسَدُ كله" يعني القلب.

---

[١٤]- النووي - شرح مسلم - ١٦٨/٢.

[١٥]- عمدة القاري للعيني ٤٤/٢٠.

[١٦]- ابن فارس ١٧/٥.

قوله: الرجال، جمع رجل والمعنى معلوم، وللفظة دلالة تذكر عند اللطائف إن شاء الله تعالى.

قوله: "ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة".

قال ابن حجر: كذا في هذه الرواية، بإعادة ثم، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجباً كان أو مندوباً، قال البدر العيني: قوله: "ثم علموا" أي بعد نزولها في قلوب الرجال بالفطرة علموها من القرآن، ثم قال العيني: قوله: "ثم علموا من السنة" أي سنة النبي ﷺ، لكن كلام ابن حجر أكثر جودة حيث عمم السنة فشملت كل ما ورد عن النبي ﷺ سواء كان فرضاً أو واجباً أو مندوباً، بينما احتمل كلام العيني ما كان سنة التي تقابل الفرض والواجب.

ووصف عبدالرحمن السلمي تعلم الصحابة فقال: "كان الذين يعلموننا القرآن، يحدثوننا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لا يتجاوزوهن حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، فتعلموا العلم والعمل جميعاً.

قلت: في رواية مسلم والترمذي والبيهقي وابن حبان وأحمد والطيالسي قوله: "ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة".

وعند البخاري من كتاب الاعتصام: "ونزل القرآن فقرؤوا القرآن وعلموا من السنة". ورواية ابن ماجة:[١٢]"ونزل القرآن، فعلمنا من القرآن وعلمنا من السنة".

قلت: ظاهر رواية ابن ماجه مُشْعرٌ بأن قوله: "ونزل القرآن، فعلمنا من القرآن وعلمنا من السنة" مدرج من قول حذيفة، وكأن محقق سنن ابن ماجه يَرى الأمر نفسه حيث أخرج هذا اللفظ من بين أقواس التنصيص.

[١٢] (الحديث رقم من سنن ابن ماجة ٤٠٥٣)

وفي أعلام الحديث للخطابي قوله: "ثم علموا من السنة" دون ذكر لتعلمهم القرآن.

ثم بدأ الحديث الثاني من حديثي الأمانة عند حذيفة.

قوله: وحدثنا عن رفعها: يعني رفع الأمانة، قال ابن حجر: هذا هو الحديث الثاني الذي ذكر حذيفة أنه ينتظره وهو رفع الأمانة أصلاً حتى لا يبقى من يوصف بالأمانة إلا نادراً، ولا يعكر على ذلك ما ذكره في آخر الحديث، مما يدل على قلة من ينسب للأمانة، فإن ذلك بالنسبة إلى حال الأولين، فالذين أشار إليهم بقوله: "ما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً" هم من أهل العصر الأخير الذي أدركه، والأمانة فيهم بالنسبة إلى العصر الأول أقل، وأما الذي ينتظره فإنه حيث تفقد الأمانة من الجميع إلا النادر.

قلت: يستغرب من حذيفة قوله: "ما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً" فإن حذيفة توفي سنة ست وثلاثين أول البيعة لعلي، فهل كان حال الناس يومئذ كذلك ؟ فإن كان كذلك، فهذا حال الناس في كل زمان، فلم المبالغة في وصف حال الصحابة بطريقة تحبط كل أحد يحاول اللحوق بهم؟

قوله: ينام الرجل النومة. يدل أصل مادة نوم على جمود وسكون حركة، منه النوم، نام نوماً ومناماً، ورجل نَوَمَة: خامل لا يؤبه له، ومنه استنام له فلان، إذا اطمأن إليه وسكن، والمنامة: القطيفة؛ لأنه يُنَام فيها.ويستعيرون منه: نامت السوق:بمعنى كَسَدَت، ونام الثوب: أخلَقَ[18].

ومعلوم خلاف العلماء قديماً وحديثاً في تعريف النوم وتفسير ظاهرته، وفي الآية: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ (الزمر ٤٢). قال الراغب: "هو أن يتوفى الله النفس من غير موت"[19]والمعنى في الحديث بينه العيني بقوله: "رفعها: هو

---

[18]- ابن فارس٥/٣٧١.

[19] المفردات٣(٨٣٠)

أن ينام نومة فتقبض الأمانة من قلبه، يعني تقبض من قوم ثم من قوم ثم شيئاً بعد شيء، في وقت بعد وقت على قدر فساد الدين[٢٠].

قوله: فتقبض: أصل مادة قبض يدل على شيءٍ مأخوذ، وتجمع في شيء[٢١]. قال الراغب: القبض: تناول الشيء بجميع الكف، نحو: قبض السيف وغيره، وفي الآية: ﴿فقبضت قبضة﴾ (طه ٩٦). وقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله، وقبضها عن الشيء جمعُها قبل تناوله، وفي أسماء الله تعالى: "القابض" هو الذي يُمْسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات، وفي الحديث: "ما من آدمي إلا وقلبه بين أصبُعَيْن من أصابع الرحمن" أي: إن الله قادر على تصريف أشرف جزء منه، فكيف ما دونه[٢٢].

والمعنى في حديثنا إمّا أنْ يكونَ على ظاهره فيدل على وقوع القبض نوماً، وإما أنْ يكونَ على المعنى البعيد؛ وهو أن النوم يعني القعود عن التسامي في باب الطاعات، فيكون الأسلوب مجازياً؛ ذكر النوم وأراد لازمه من الكسل والقعود..

قوله: فيظل أثرها مثل أثر الوكت: ظل بمعنى صار، وأصلها يدل على ستر شيءٍ لشيءٍ. ومعنى ظل يفعل كذا، وذلك إذا فعله نهاراً، ولا يقال: ظل يفعل كذا ليلاً[٢٣]، فأصل استعمالها عند العرب لما عُمِل نهاراً.

قال ابن حجر: يقال: ظل لما عُمِلَ بالنهار، ثم أطلق على كل وقت، وهي هنا على بابها لأنه ذكر الحالة التي تكون بعد النوم وهي غالباً تقع عند الصبح.

---

[٢٠]- العيني في العمدة ١٩/٤٤.

[٢١]- ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥/٥٠.

[٢٢]- الراغب في المفردات ٦٥٢.

[٢٣]- ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٣ /٤٦١.

والمعنى: أن الأمانة ذهبت حتى لا يبقى منها إلا الأثر الموصوف في الحديث.

قوله: أثرها، الأثر: رسم الشيء الباقي، والأثارة البقية من الشيء، والجمع أثارات ومن قوله تعالى: ﴿أو أثارة من علم﴾ (الأحقاف ٤). قال الراغب: أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده.[٢٤]

قوله: الوكت: الوكتة كالنكتة في الشيء، ويقال للرطبة إذا تقطعت، قد وكَّتَتْ. قال ابن الأثير: الوكتة: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه والجمع وكْت، ومنه قيل للبُسْر إذا وقعت فيه نقطة من الإرطاب: قد وكَّت.وتقول العرب: في عينة وكتة. قال العيني: الوكت أثر النار ونحوه.

والمعنى: أن القبض الأول للأمانة لا يترك أثراً شديداً، إنما هو كالنكتة أو النقطة، ويدل على هذا المعنى: أن القبضة التي تليها تترك أثراً أكثر منها، وهو أثر المجل.

قوله:المَجْل: المَجْل كلمة واحدة وهي مَجَلَتْ يده، تَمْجَلُ والمعنى: تنفطت. ويقولون: جاءت الإبل كأنها المجل، أي ممتلئةً كامتلاء المجل، وتمجل قيحاً، امتلأ[٢٥]. قال ابن الأثير: يقال مَجَلَتْ يَدُه تَمْجُل مَجْلاً، ومَجِلَت تَمْجَلُ مَجَلاً، إذا ثَخُنَ جلدها وتَعَجَّرَ، وظهر فيه ما يشبه البَثْر، من العمل بالأشياء الصُّلْبة الخشنة. وقد اشتكت فاطمة إلى علي ﷺ مَجْلَ يديها من الطحين. قال الخطابي:"المجل: أثر العمل في الكف، يُعالج بها الإنسان الشيء حتى يغلظ جلدها[٢٦]. وقال العيني: المجل التنفط الذي يحصل في اليد من العمل بفأس ونحوه.

قوله:كجمر دحرجته على رجلك.

---

[٢٤]- المفردات (٦٢)

[٢٥]-ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٢٩٨/٥.

[٢٦]- الخطابي في أعلام الحديث (٢٢٥٤/٣)

الجمر: الجيم والميم والراء أصل واحد يدل على التجمع، فالجمر جمر النار معروف.ودحرجته: قال في مختار الصحاح: دحرجه دحرجةً ودِحْراجاً، بكسر الدال، والمدحرج المدور. ودحرج غير بعيدة عن دحر التي تعني الإبعاد، ودحق التي تفيد الشيء نفسه.

على رجلك: الرجل معروفة وهي العضو من الإنسان وغيره.

قوله: "فنفط فتراه منتبراً". نفط كما يقول ابن فارس ثلاثُ كلمات: النَّفط معروف، والنَّفط: قَرْحٌ يخرج من اليد من العمل، ونَفَط الصَّبِيُّ نفيطاً: صَوَّتَ. والمعنى المقصود في حديثنا كما قال ابن حجر: صار متنفطاً وهو المنتبر، وقولهم انتبر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلأ ماءً.قال القسطلاني: وقال: فنفط بالتذكير ولم يقل فنفطت باعتبار العضو، لا باعتبار لفظ "الرجل".

قوله: فتراه "منتبراً". أصل مادة نبر يدل على رفع وعلو، ونبر الغلام: صاح أول ما يترعرع، وسمي المنبر منبراً لارتفاعه.

قوله: ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدٌ يؤدّي الأمانة.

معنى يصبح أي يبدأون منذ الصباح. وأصل الصبح الحمرة، وسمي الصبح صبحاً لحمرته، ولذلك يقال: وجه صبيح أي أحمر.

والناس على إطلاقها من المسلمين وغيرهم، وأصل المادة "نوس" ويدل على اضطراب وتذبذب، وناس الشيء تذبذب. وأبو نُوَاس: ملك من ملوك العرب كانت له ذؤابتان على ظهره تتوسان، أي تتحركان وتضطربان.والمعنى هنا: قيام الناس في السوق صباحاً للبيع والشراء.

قوله: يتبايعون: المعنى هنا البيع والشراء لا البيعة، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

يؤدي الأمانة: أصل وضعها من الأداة، كأنَّه تناول الأداة ليؤدي الأمانة. والمعنى: دفع الحق الذي عليه وتوفيته. وقد أمر الله تعالى بأداء الأمانة: ﴿إنَّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء ٥٨).

قوله: ما أعقله: من العقل وأصل العقل من عقل التي تدل على الحبس والمنع، فالعقل الحابس عن ذميم القول والفعل.

قوله: ما أظرفه: من الظرف وهو الوعاء، ثم يسمون البراعة والكياسة ظرفاً، ونكاءَ القلب كذلك، ومعنى ذلك أنه وعاء لذلك؛ أي أن الظريف وعاء للذكاء الفطري والبراعة والكياسة.

قوله: ما أجلده: أصل المادة يدل على قوةٍ وصلابة. والرجل الجَلِدُ القوي الذي يحتمل ما يؤذى به، وهو الذي لا يظهر ضعفه، والتجلد؛ تكلف الجلادة.

قوله: مثقال حبة من خردل، المثقال: ما يوزن به، وهو الثِّقل وأصل الثقل ضد الخفة.وفي الآية: ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (الأنبياء ٤٧). والحَبَّة، مفردة الحَبّ وهي من الحنطة "الشعير" و يقال لبزور الرياحين الحِبُّ والحِبَّة. وفي الآية ﴿كمثل حَبَّةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ (البقرة ٢٦١).وقوله: خردل: الخردل نبات عُشبي حرِّيف من الفصيلة الصليبية، ينبت في الحقول وعلى حواشي الطرق، تستعمل بزوره في الطب، ويضرب به المثل في الصغر[٣٣].

وبهذه اللفظة ينتهي حديث رفع الأمانة.ثم يبدأ إدراج حذيفة تعقيبه على الحديث. ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت. يصف حاله حين كانت الأمانة أكثر في الناس.ومعنى قوله: بايعت: البيع والشراء، ولا يقصد به البيعة للخلافة. والساعي: الوالي الذي عليه كما أفاد الخطابي.

ثاني عشر: معنى الحديث:

ذكر حذيفة أن النبي ﷺ حدثهم حديثين، الأول: في نزول الأمانة والثاني: في رفعها ثم ذكر حذيفة أنه رأى حديث نزول الأمانة أولاً، غير أنه

---

[٣٣]- المعجم الوسيط ٢٢٥.

لم ير حديث رفعها. وبيَّن الحديث الأول أن الإيمان والعهد مما فطر الناس عليه، ثم كان القرآن وكانت السنة تأكيداً وتوثيقاً لذلك العهد.

ثم ذكر الحديث الثاني كيف يُرفع الدين والإيمان والأمانة من الناس شيئاً فشيئاً، فبيَّن أن النوم على الحقيقة أو المجاز وقت نزع الأمانات من صدور الناس وقلوبهم، غير أن الإيمان إذا نزع ينزع تدريجاً، ثم يترك علامة يسيرةً كالنقطة، فلا يؤبه لها، فإذا بالإيمان ينزع نزعاً يترك أثراً متجعداً متعالياً منتبراً انتباراً كثيراً. وعندئذ يكثر الغش وينتشر الفساد، حتى يصير المدح بكل صفات الحسن سمتاً ظاهراً في الناس. وعندئذ فشأن المسلم شأن حذيفة، الحذر والحيطة في كل شيء. وإنما ذكر حذيفة البيع والشراء على سبيل التمثيل.

وقوله: "إلا فلاناً وفلاناً" إبهام لم يبينه الشراح، ولم يذكره العراقي في المستفاد من مبهمات المتن والإسناد وشرطه ذكره.

ثالث عشر: أحكام الحديث

(١) فيه دليل تربوي تعليمي وهو تحديث الأستاذ طلابه بالحديث والحديث الذي يتم معناه، فقد حدثهم النبي ﷺ أولاً عن نزول الأمانة، ثم حدثهم بعدها عن رفعها. وهذا من المناهج التعليمية التربوية عند النبي ﷺ.

(٢) فيه دليل على جواز قول الباحث "رأيت"، "وأنا أنتظر"، فلا حرج في هذه الأساليب، وهي لا تنافي التواضع العلمي والأدبي.

(٣) فيه أن أول ما ينبغي للعبد تعلمه الكتاب والسنة.

(٤) فيه مشروعية ضرب المثل واستعمال الوسائل التعليمية والتوضيحية وذلك من قوله: "كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً". وفي رواية مسلم : "ثم أخذ حصىً فدحرجه على رجله" وفي رواية

ابن ماجه بيان هذا الآخذ، قال ابن ماجه: "ثم أخذ حذيفة كفاً من حصى، فدحرجه على ساقه"

(٥) فيه دليل على جواز ذكر الناس بما يعيبهم دون تحديد لأعيان المعيبين، وذلك من قوله: "ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة". وهذا نهج كان النبي ﷺ يتعامل مع أصحابه به فيكثر أن يقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا" دون تحديد أشخاصهم.

(٦) فيه قبح النفاق وذم مادح الناس بما ليس فيهم.

(٧) فيه دليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وذلك من قوله: "وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان" فالذي يوزن يزيد وينقص.

(٨) فيه جواز تحديث المسلم عن نفسه وطريقته في التعامل مع الناس: "ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت" وقد ورد نحو ذلك عن النبي ﷺ من حديثه عن نفسه وطريقته في التعامل مع الناس.

(٩) فيه دليل على جواز البيع والشراء من اليهود النصارى في بلاد الإسلام وأنه لا حرج في ذلك.

(١٠) فيه دليل على جواز التظلم لدى المسئول وذلك من قوله: "رده عليَّ ساعيه".

(١١) فيه دليل على جواز التحديث بأحاديث الفتن التي تحذر الناس من الشر وأهله.

(١٢) فيه دليل على تغير أخلاق الناس درجة درجة، وبيان هذا سبق عند الحديث عن الوكتة والمجلة. ويحتم ذلك ضرورة الحيطة والحذر على النفس فقد يتغير قلب العبد دون أن يلمس ذلك.

(١٣) قال الخطابي منكراً على من رأى أن قول حذيفة:" فلا أبايع" يعني به بيعة الإمام : قوله: لئن كان نصرانياً رده عليَّ ساعيه، فهل يُبَايع

النصراني"[٣٨]. قال ابن العربي: "قال حذيفة هذا القول لما تغيرت الأحوال التي كان يعرفها على عهد النبوة والخليفتين"[٣٩].

رابع عشر: اللطائف الدعوية والتربوية

١- في قوله: "إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال" لطائف:

الأولى: تربوية تفيد الترغيب في الأمانة، وأنها صفة ملازمة لمن كملت رجولته، فمن كان رجلاً كان أميناً.

والثانية: بيان أن المرء بقلبه؛ فالقلب المتجذر بالأمانة جوارحه أمينة؛ يده ورجله وعينه.

والثالثة: أن نزول الأمانة يدل على هبوطها من عَلٍ، ولا شك أنها تنزل على عالي الهمة سامقها.

٢- في قوله: "فيظل أثرها مثل أثر الوكت" إشارة إلى بقاء ثملة الخيانة في صاحبها.

٣- في قوله: "ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة" إشارة إلى عدم كفاية الفطرة حتى يحصل الإيمان، فلا بد من تعلم القرآن والسنة، وهي لفتة إلى ضرورة حفظ الأمانة بتعلم ما يحفظها. وفيه أيضاً رد على من يزعم الاستغناء بالقرآن عن السنة.

٤- في قوله: "وحدثنا عن رفعها" لفتةٌ تدل على أن المرء الذي لا يستحق الخير يسحب منه ويصادر، وهذا يصدق على الأفراد كما يصدق على الجماعات والشعوب، ذلك لأن الذي لا يحسن صيانة ما لديه من خيرات لا يستحق أن تبذل له أبتداءً.

---

[٣٨]- الخطابي في أعلام الحديث٣/٢٢٥٤.

[٣٩]- الفتح ١٣/٥.

٥- في قوله: "كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً" لطائف.

الأولى: فيه إشارة إلى أن الذي يخون الأمانة إنما يدحرج على نفسه النار، فلينظر المورد الذي أورده نفسه.

والثانية: في قوله: "دحرجته على رجلك" فإنما أنت تدحرجه على رجلك لا رجل غيرك، فعلى نفسها جنت اليد الآثمة.

والثالثة: وقوع الدحرجة على الرِّجْلِ دون بقية البدن، لأن عوار الرِّجْل أظهر من غيره من العوار حتى يراه كل أحد.

والرابعة: "فنفط فتراه منتبراً" فيه انتفاط بالباطل وانتفاخ بالأوساخ واستعلاء بالخيانة وهي صفة خائن الأمانة.

٦- وفي قوله: "ما أعقله وما أظرفه وما أجلده" فيه أنه إذا فقدت الأمانة المادية فقدت الأمانات المعنوية، فقد خان الناس في البيع أولاً ثم خانوا بعد ذلك في الأمانات المعنوية، فصاروا يثنون على الناس بما ليس فيهم.

الحديث السادس

قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الفتن:

"باب إذا أنزل اللهُ بقوم عذاباً".

قال: حدثنا عبدالله بن عثمان أخبرنا عبدالله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني حمزة ابن عبدالله بن عمر، أنه سمع ابن عمر ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:

إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بُعِثوا على أعمالهم".

أولاً: تخريج الحديث

أخرجه البخاري ولم يكرره، ومسلم في كتاب الجنة من صحيحه[1]، وأحمد في المسند[2] والبغوي في شرح السنة[3] وابن حبان في الإحسان[4].

---

[1]- مسلم ح ٢٨٧٩ .

[2]- مسند أحمد ٤/٢ ، ١١ ، ١٣٦ .

[3]- شرح السنة للبغوي ح ٤٢٠٤ .

[4]- الإحسان ٣٠٦/١٦ ح ٧٣١٥ .

ثانياً: دراسة السند

١- عبدالله بن عثمان بن جَبَلَة، بن أبي رَوَّاد العَتَكي، أبو عبدالرحمن المروزي، لَقَبُهُ عَبْدَان، ثقة حافظ توفي سنة ٢٢١هـ، أخرج له الستة ما عدا ابن ماجه، وعَدَّ ابن حجر في نزهة الألباب[٥] ثمانية رجال لقبهم عبدان، أولهم عبدالله بن عثمان.

٢- عبدالله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة ثبت، فقيه عالم، جواد مجاهد، جُمعت فيه خصال الخير مات سنة ١٨١هـ وله ثلاث وستون سنة.

٣- يونس بن يزيد بن أبي النَّجاد الأيلي، أبو يزيد مولى آل أبي سفيان، ثقة إلا أنَّ في روايته عن الزهري وَهْماً قليلاً، وفي غير الزهري خطأ،مات سنة ١٥٩هـ وقيل سنة ستين.

قلت: بمراجعة أقوال العلماء تبيَّن أن في يونس وهماً، كما قال ابن حجر؛ لكن جمهور علماء الجرح والتعديل على تصحيح كتابه، فما رواه من كتابه فهو صحيح؛ وعلى رأس هؤلاء ابن المبارك رحمه الله.

وعليه فالحديث صحيح؛ لأن ابن المبارك يدرك صحة كتاب يونس، ويَعْلَمُ وهمه إن حدث من حفظه، فلا يمكن أن يروي له إلا من كتابه[٦] .

قال ابن حجر في هدي الساري[٧]: وثقه الجمهور مطلقاً، وإنما ضعفوا بعض روايته حيث يخالف أقرانه أو يحدث من حفظه، فإذا حدث من كتابه

---

[٥] - نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر ١٣/١

[٦]- راجع تهذيب الكمال ٥٥٤/٣٢

فهو حجة، وقال ابن المديني: أثبت الناس في الزهري مالك وابن عيينة ومعمر وزياد بن سعد ويونس في كتابه".

وبكشف هذه العلة يتبين زوالُ شبهةِ وهمِ يونسَ بنِ يزيدِ.

٤- الزهري: سبق ذكره في حديثنا السابق.

٥- حمزة بن عبدالله بن عمر ثقة، أخرج له الستة.

٦- عبدالله بن عمر بن الخطاب الصحابي الشهير، من صغار الصحابة، أبوعبدالرحمن، مكثر في روايته، صاحب سنة مات سنة ٧٣هـ .

ثالثاً: لطائف السند

١- في إسناده إمامانَ جليلان: الزهري وابن المبارك، وقد يعدون ذلك من اللطائف في السند.

٢- فيه رواية التابعي عن التابعي، الزهري عن حمزة.

٣- فيه رواية الابن عن أبيه، حمزة عن ابن عمر.

رابعاً:رحلة الحديث

حديثنا مدني بقي في المدينة حتى ارتحل به الزهري إلى أيْلَة في طريقه إلى الشام، فقد كان ينزل على يونس في أيلة[٨]، وعن يونس أخذه

---

[٧]- هدي الساري ٦٣٤

[٨] - مدينة على ساحل بحر القُلزُم(الأحمر) قال ياقوت في معجم البلدان:" وينسب إلى أيله جماعة من الرواة، منهم يونس بن يزيد الأيلي" (معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٤٨/١) ووصفها المقدسي في أحسن التقاسيم فقال:" مدينة عامرة جليلة ذات نخيل وأسماك، قرضة فلسطين وخزانة الحجاز، وفي أيلة تنازع حصل بين الشاميين والحجازيين والمصريين، وإضافتها إلى الشام أصوب لأن رسومهم وأرطالهم شامية، وهي قرضة فلسطين"(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي)

عبدالله بن المبارك المروزي، فقد ارتحل عبدالله إلى الشامات، يعني كل بلاد الشام، وعنه بقي في مرو حتى أخذه البخاري بمر عن عبدالله بن عثمان.

خامساً: شجرة الإسناد

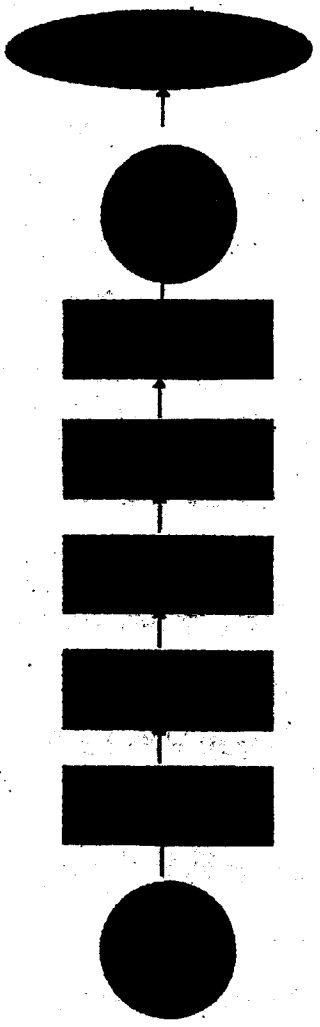

قلت: وهي البلدة الواقعة أقصى جنوب بلادنا فلسطين على رأس خليج البحر الأحمر وكانت تسمى قبل النكبة الكبرى سنة ١٩٤٨م "أم الرشراش"، ويهم الناس فيخلطون بين أيلة وإيلياء، وإيلياء بيت المقدس.

سادساً: ألفاظ التلقي والأداء

فيه التحديث والإخبار بصيغة الجمع وفيه عنعنة يونس وليس مدلساً، وفيه الإخبار بالإفراد وفيه السماع.

سابعاً: مناهج البخاري في هذا الحديث

فيه من مناهج الإمام البخاري الترجمة للحديث فقط.

ثامنا: سبب الورود وسبب الإيراد

لم أقف له على سبب ورود أو سبب إيراد.

تاسعاً: مطابقة الترجمة للحديث

ترجمة البخاري كما تقدم، باب إذا أنزل الله بقوم عذاباً.

وترجمة النووي في صحيح مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلُها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

وترجمة ابن حبان في كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر الإخبار بأنَّ الله جلَّ وعلا إذا أراد عذاباً بقوم، نال عذابه من كان فيهم، ثم البعث على حسب النيات.

وترجمة البغوي في شرح السنة كتاب الرقاق باب: إذا هلكوا بالعذاب بُعثوا على نياتهم.

وترجمة الخطيب التبريزي في المشكاة في كتاب الرقاق باب: البكاء والخوف.

أما ترجمة الإمام البخاري فكما يلي: بابٌ بالتنوين: إذا أنزل الله بقوم عذاباً، ماذا يكون من أمر الصالحين؟ و لم يذكر جوابَ "إذا" اكتفاءً بما في الحديث، والبخاري يترجم هنا بجزء من الحديث.

قال العيني: مطابقته للترجمة ظاهرة .

عاشراً: اللغة وغريب اللفظ

قوله: أنزل من النزول وقد سبقت في الحديث الثاني، والمعنى هنا إنزال الغضب.

قوله: بقوم دون إضافة لإرادة العموم.

قوله: عذاباً قال ابن فارس: العين والذال والباء أصل صحيح، لكن كلماته لا تكاد تنقاس، ولا يمكن جمعها إلى أصل واحد، وهذا يدل على أن اللغة كلها ليست قياسية، لكن جلها ومعظمها .

وقيل في أصله: عَذَبَ الرجلُ: إذا ترك المأكل والنوم، فالتعذيب حمل الرجل على أن يَعْذِب .

وقيل أصله إكثار الضرب بعَذَبَةِ الصوت .

وقد وردت الكلمة في القرآن والسنة مراراً، والمعنى كما يقول الراغب: هو الإيجاع الشديد .

قوله: أصاب: أصل المادة صوب، ويدل على نزول شيء واستقراره قراره. منه الصواب في القول، ومنه: الصَّوْب؛ وهو نزول المطر.

والمعنى: نزول العذاب عليهم بدقة لا تخطيء قط. "وفي رواية الإسماعيلي: "أصاب به مَنْ بَيْن أظهرهم".

قوله: بُعِثُوا المعنى البعث يوم القيامة، وأصله: إثارة الشيء وتوجيهه.

ومنه الآية: ﴿ **ما خلقُكم ولا بعثُكم إلا كنفس واحدة** ﴾ (لقمان ٢٨).

ومن أسمائه تعالى: الباعث، وهو الذي يبعث الخلق، أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة.

قوله: أعمالهم الأعمال جمع عمل ومعناه كل فعل يكون عن قصد[9] .
والمعنى هنا: على الأعمال التي عملوها واجترحوها في الحياة الدنيا، خيراً كانت أو شراً.

ثاني عشر: معنى الحديث

يبين الحديث سنة من سنن الله تعالى، سنةً لا تتخلف أبداً، أشار إليها القرآن في مواطن عدة منها: ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم** ﴾(التوبة ٣٩)، ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم**﴾(محمد ٣٨).

فاستبدال الأمة بأمة أفضل سنة ربانية، دلت عليها الآيات والأحاديث.

وحديثنا يبين صورة من صور الاستبدال وهي صورة الإهلاك العام الذي لا يستثني أحداً، حتى الصالحين .

ولأن ميزان الله تعالى ميزان حق وعدل، كان لا بد من مجازاة كل بما عمل، فيجزي الصالح خيراً، ويعاقب الظالم المسيء .

وفي حديث زينب بنت جحش أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال ﷺ:" **نعم إذا كثر الخبث**"[10] ويدلنا حديث عائشة على المعنى نفسه فقد قال رسول الله ﷺ :" **يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم**" قالت: قلت: يارسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال:"**يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم**"[11] .

---

[9]- المفردات ٥٨٧ .

[10]- مسلم ٢٢،٧/٤ ح ٢٨٨. .

[11]- البخاري - فتح الباري - ٣٣٨/٤ ح ٢١١٨ .

ويعدُ حديث عائشة شاهداً لحديثنا ؛ باعتبار معنى قول الترمذي وفي الباب .

ثالث عشر: مشكل الحديث

أشكل في حديثنا نزول الهلاك على الناس بعامة، وفيهم الصالحون، ولعل هذا الإشكال نشأ منذ سمع الصحابة الحديث، فقد أشكل على عائشة وزينب واستفسرتا وأجابهما النبي ﷺ .

وقد أجاب العلماء بأجوبة منها :

الأول: يصيب الصالحين منهم، لكن يبعثون يوم القيامة على حسب أعمالهم، فيثاب الصالح بذلك، لأنه كان تمحيصاً له، ويعاقب غيره"[١٢] .

قال ابن حجر: "الحاصل أنه لا يلزم من الإشتراك في الموت، الاشتراك في الثواب أو العقاب بل يجازى كل أحد بعمله على حسب نيته"[١٣] .

والثاني: أنه يعاقب بهذا الهلاك رغم صلاحه؛ لأنه ركن إلى الذين ظلموا. ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، قال ابن حجر: "كان العذاب المرسل في الدنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم ولم ينكر عليهم، فكان جزاءً لهم على مداهنتهم"[١٤] .

رابع عشر: اللطائف الدعوية والتربوية

١- في قوله: إذا أنزل، معنى الهبوط والالقاء بشدة، وهذا عذاب الله، فإذا أنزل الله عذابه فلا راد له: ﴿ **وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مَرَدَّ له من الله**﴾(الرعد ١١).

٢- في قوله: بقوم عذاباً لطائف:

---

[١٢]- عمدة القاري ٢/.٩٢ .

[١٣]- الفتح ٧٦/١٣ .

[١٤]- نفسه ٧٦/١٣ .

الأولى: تنكير قوم لتشمل كل قوم ينحرفون عن الجَادَّة، فلا مجاملة لأحد في أمر الله.

والثانية: تنكير "عذاب" وعدم إضافتها لنوع بيان فيبينه، وهذا متروك بلا تحديد ليذهب العقل فيه كل مذهب، فيتصور كل أنواع العذاب التي تنتظر المتنكب عن السبيل.

٣- في قوله: أصاب لطيفتان:

الأولى: أنه يصيب فلا يخطيء أحداً منهم .

والثانية: أنه عمل صائب لا عوج فيه، جاء ليصوب المسار المعوج عند هؤلاء القوم.

٤- في قوله: "من كان فيهم" لطيفة، ذلك أنه قال: فيهم ولم يقل معهم، ولفظ فيهم يفيد الاستغراق، فكأن العذاب أصاب القوم ومن غرق معهم في ذلك الشر والانحراف.

٥- قوله: "ثم بعثوا على أعمالهم" .

فيه لطيفة وهي أن الله تعالى يقيم الحجة عليهم يوم القيامة، فهم على أعمالهم، لا زالوا عليها .

خامس عشر: أحكام الحديث

١- قال ابن أبي جمرة في بهجة النفوس[١٠]: "ما معنى قوم ؟ هل يكونون مؤمنين أو غير مؤمنين ؟ قال: أما المؤمنون حقيقة، فلا يرسل الله عليهم عذاباً، بل بهم يدفع الله العذاب، كما جاءت في ذلك الآثار .

قال في الفتح: مقتضى كلامه أنّ أهل الطاعة لا يصيبهم العذاب في الدنيا بجريرة العصاة. وإلى ذلك جنح القرطبي في التذكرة.

---

[١٠]- ٤/٢٦٥ .

٢- قال ابن العربي: فيه البيان بأن الخيِّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، كذلك إذا غيَّر عليه لكن حيث لا يجدي ذلك.

قال ابن حجر: في الحديث تحذير وتخويف عظيم لمن سكن عن النهي، فكيف بمن داهن، فكيف بمن رضي، فكيف بمن عاون.

٣- قال ابن أبي جمرة: يترتب على هذا من الفقه الهروب من بين الكفار، ومن بين الظالمين لأنفسهم بالمعاصي.

٤- قلت: يستثنى يوم القيامة من البعث بعثة السوء على الوجه المذكور مَنْ عَذَرَ الله تعالى من ﴿ **المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً**﴾ .

٥- فيه تخويف عظيم، وهو أنَّ إرسال العذاب على المخالفين لأمره سبحانه ونهيه باق متوقع كما كان فيمن تقدم .

٦- قال القسطلاني: اعلم أنه قد تقوم كثرة رؤية المنكرات، مكان ارتكابها في سلب نور التمييز والإنكار، لأن المنكرات إذا كثر على القلب ورودها، وتكرر في العين شهودها، ذهبت عظمتها من القلوب شيئاً فشيئاً إلى أن يراها الإنسان فلا يخطر بباله أنها منكرات، لما أحدث تكرارها من تألف القلوب بها.

قلت: لهذا كان التشديد على مَنْ أعلن بالمعاصي واستهتر بها. وقد روى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" **كل أمتي معافى إلا المجاهرين. وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**"[١٦].

---

[١٦] - رواه البخاري ورقمه في الفتح ٦٠٦٩ ج١٠ /٥٩٥

وللمعنى الذي،ذكره القسطلاني كانت الآية:﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء** ﴾ وكان الوعيد للذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا. ومن تلطف الله تعالى بنا أنه ﷻ حين يعرضنا للحساب يتجلى حبه لعباده بستره عليهم في الدنيا والآخرة:" **يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملتَ كذا وكذا؟**" فيقول: نعم "**ويقول: عملت كذا وكذا؟**" فيقول: نعم. فيقرره ثم يقول:" **إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم**"[١٧]

وهذا وعده سبحانه لنا نحن المسلمين، لنا نحن من يجترحون السيئات في الليل والنهار، ثم ترانا نكره الذنب وتلومنا نفوسنا عليه، ولعل رواية سعيد بن جبير تبين عظمة ربنا وهو يسألنا ويقررنا:" فيلتفت – أي العبد– يَمْنَةً ويَسْرَةً فيقول –الله– :" **لا بأس عليك إنك في ستري لا يطلع على ذنوبك غيري**"[١٨].

ويبقى الوعيد يوم القيامة بالعقاب الشديد كما في الحديث:" **كل أمتي معافى إلا المجاهرين**" يبقى للمجاهرين ولمن لم يؤمن من أصل الأمر.

---

[١٧] – رواه البخاري ورقمه في الفتح ٦٠٧٠ ج ١٠ح/ ٥٩٦ه

[١٨] – ابن حجر في الفتح ١٠/ ٥٩٩ه

الحديث السابع

قال الإمام البخاري في كتاب الاعتصام .

باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقولِ الله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ .

قال: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا .

وعن ابن عون: ثلاثٌ أحبهن لنفسي ولإخواني:

هذه السنة: أن يتعلموها ويسألوا عنها. والقرآنُ: أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه . ويَدَعوا الناس إلا من خير .

قال البخاري:

حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزِّناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

"دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم".

أولاً: تخريج الحديث

أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والترمذي في الجامع، والنسائي في سننه، وابن ماجه في سننه وابن حبان في التقاسيم والأنواع والدارقطني في سننه الكبرى، والبيهقي في سننه وعبدالرزاق في مصنفه .

ثانياً: دراسة السند

١- إسماعيل بن أبي أُوَيْس: هو إسماعيل بن عبدالله بن أُوَيْس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبوعبدالله المدني،قال ابن حجر في التقريب: صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه. أخرج له البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجه[١٩] .

وإسماعيل المذكورَ ابن أخت الإمام مالك، لا يكاد الأئمة يقبلون حديثه.

وقد تكلم العلماء فيه جرحاً وتعديلاً، واتهم بوضع الحديث، وقد قال مرةً: "ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم" .

قال ابن حجر[٢٠]: "لعل هذا كان من إسماعيل في شبيبته ثم انصلح، وأما الشيخان فلا يُظن بهما أنهما أخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات" .

قال الحافظ[٢١]: "احتج به الشيخان إلا أنهما لم يكثرا من تخريج حديثه، ولا أخرج له البخاري مما تفرد به سوى حديثين" .

قلت: روى له البخاري مائتي وتسع وعشرون حديثاً .

---

[١٩]- التقريب ١،٨ .

[٢٠]- في التهذيب ٣١٢/١ .

[٢١]- مقدمة الفتح ٥٥١ .

وقد اعتذر الحافظ في مقدمة الفتح للبخاري بقوله: "قلت: وروينا في مناقب البخاري بسند صحيح أنَّ إسماعيل أخرج له أصوله، وأذن له أن ينتقي منها، وأن يَعْلِمْ له على ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه، وهو مشعر بأنَّ ما أخرجه البخاري عنه هو من صحيح حديثه لأنه كتب من أصوله، وعلى هذا لا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره، إلا إن شاركه فيه غيره فيعتبر فيه" .

قلت: وحديثنا هذا ورد من طرق من غير طريق إسماعيل بن أبي أُويس .

فقد ورد من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج، ومن طريقه أيضاً عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة .

ورواه معمر عن همام والزهري عن سعيد عن أبي هريرة .

وهذه شجرته:

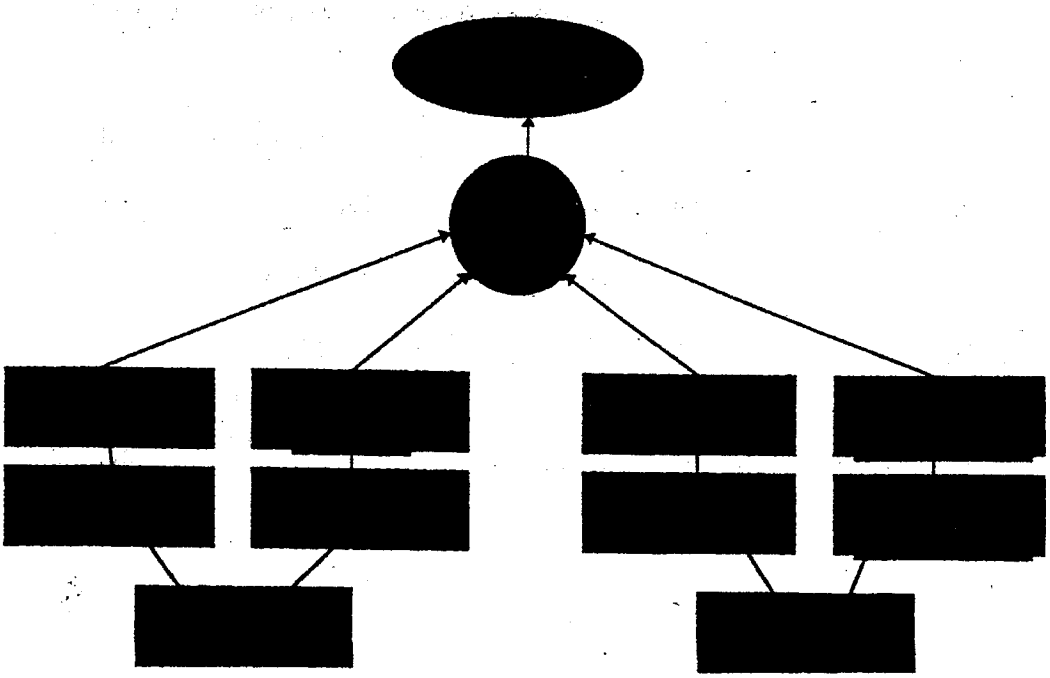

فالحديث وارد من غير طريق إسماعيل بعدة روايات .

قلت: رواية ابن حجر عن إعطاء إسماعيل أصوله للبخاري سندها صحيح كما قال ابن حجر، والعهدة عليه، فإن صح كلامه كانت روايته عند البخاري مقبولة، وتوفي إسماعيل سنة ٢٢٦هـ .

٢- مالك بن أنس الأَصْبَحي؛ إمام دار الهجرة ﷺ لا يُسْأل عنه، مدني، توفي سنة ١٧٩هـ .

٣- أبوالزِّنَاد، عبدالله بن ذَكْوان القرشي، أبوعبدالرحمن المدني، المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، مات سنة ١٣٠هـ .

٤- الأعرج: ذكره ابن حجر في نزهة الألباب[٢٢] وقال: الأعرج جماعة أشهرهم: عبدالرحمن بن هُرْمُز شيخ أبي الزناد .

قلت: لقبه الأعرج وكنيته أبوداود .

قال ابن حجر: ثقة ثبت عالم، مات سنة ١١٧هـ بالاسكندرية .

٥- أبوهريرة الصحابي. سبقت ترجمته .

ثالثاً: لطائف السند:

١- رواته مدنيون، والبخاري رحمه الله تعالى دخل المدينة مرات .

٢- فيه رواية الراوي عن خاله .

٣- فيه رواية التابعي عن التابعي أبي الزناد عن الأعرج .

رابعاً: رحلة الحديث:

حديثنا مدني تنقل بين جنباتها حتى ورودها البخاري رحمه الله فأخذه عن إسماعيل بن أبي أويس .

---

[٢٢]- نزهة الألباب ٨٢/١ .

خامساً: شجرة الإسناد :

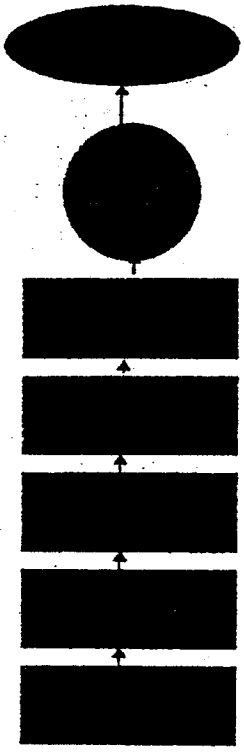

سادساً: ألفاظ التلقي والأداء

فيه التحديث بصيغة الجمع، والإفراد، وعنعنة الثقات غير المدلسين .

سابعاً: مناهج المصنف في الحديث

فيه من مناهجه ترجمته للحديث ترجمة طويلة، فيها الآية وأقوال التابعين. ولم يختص الحديث بغيرها من المناهج .

ثامناً: سبب ورود الحديث

روى الإمام مسلم[23] في كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر .

عن أبي هريرة قال: **خطبنا رسول الله ﷺ فقال:" أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا" فقال رجل: أكل عام يارسول الله ؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ "لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم" ثم قال:" ذروني ما تركتكم ... الحديث".**

وقد أورد ابن حمزة الحسيني سبب ورود الحديث في البيان والتعريف[24] وعزاه لابن حبان. ثم قال: والسائل هو الأقرع بن حابس .

قلت: أورده العراقي **في المستفاد**[25] قال: "هو الأقرع بن حابس كذا في مسند ابن أبي مِخْصَن.

قلت: وقع التصريح به في سنن الدارقطني[26] وسنن البيهقي[27] قال: فقال الأقرع بن حابس، **أكل عام يارسول الله" .**

ووقفت له على شاهد عن عبد الله بن عمرو ﷺ فيه سبب ورود قال:" هَجَّرتَ إلى رسول الله ﷺ يوماً قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعْرَف في وجهه الغضب، فقال:" **إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب" [28]**

---

[23]- صحيح مسلم ٢/٩٧٥ ح ١٣٣٧ .

[24]- ٢/٣٣٦ .

[25]- ١/٥٨٥ .

[26]- ٢/٢٧٩ .

[27]- ٤/٥٣٤ .

[28] - رواه مسلم ٤/ ٢٠٥٣ ح ٢٦٦٦ ومعنى هَجَّرت أتيت وقت الهاجرة وهي الظهيرة.

تاسعاً: سبب إيراد الحديث:

لم أقف له على سبب إيراد، لكن قال أبوسلمة بن عبدالرحمن وسعيد ابن المسيب: كان أبوهريرة يحدث؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" **ما نهيتكم عنه فاجتنبوه** ... " فذكره نحوه[٢٩] .

عاشراً: الترجمة والمطابقة والتراجم المضافة

ترجمة البخاري بقوله: باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿**واجعلنا للمتقين إماماً**﴾ قال أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا. وعن ابن عون: ثلاثٌ أُحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه، ويدعو الناس إلا من خير .

وترجمه النووي في صحيح مسلم كتاب الفضائل بقوله: باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك .

وأورده مسلم في كتاب الحج وبوبه النووي بقوله: باب فرض الحج في العمر مرة. وترجمه النسائي في كتاب المناسك والحج باب وجوب الحج. وأخرجه الترمذي في كتاب العلم باب الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ والبيهقي في سننه الكبرى كتاب الحج باب وجوب الحج مرة واحدة.وابن حبان في الإحسان في المقدمة باب الاعتصام بالسنة.وعبدالرزاق في المصنف باب مسألة الناس. وابن خزيمة في الصحيح في كتاب المناسك باب ذكر بيان

---

[٢٩]- مسلم ١٨٣/٤. ح ١٣٣٧ .

فرض الحج وأن الفرض حجة واحدة على المرء لا أكثر منهـا، والبغـوي فـي شرح السنة في كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسـنة،والدارقطنـي فـي سننه الكبرى في كتاب الحج باب المواقيت .

ومعنى الترجمة عند البخاري:

قال ابن حجر: "باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ أي قبولهـا والعمـل بما دلت عليه، فأما أقواله ﷺ فتشتمل على أمورٍ ونهي وإخبار ولكلٍ حكمه .

وأبهم الذي ذكر معنى الآية: ﴿**واجعلنا للمتقين إماماً**﴾ وثبت ذلك من قول مجاهد، وإسناده صحيح .

والمعنى: اجعلنا أئمة في التقوى حتى نأتم بمن كان قبلنا، ويأتم بنا من بعدنا .

قوله: "وقال ابن عون" هو عبدالله البصري من صغار التابعين .

قوله: "لإخواني" في رواية حماد "ولأصحابي" .

قوله: "هذه السنة" أشار إلى طريقـة النبـي ﷺ وورد عـن ابـن عـون: "هذا الأثر عن رسول الله ﷺ فيتبعه ويعمل بما فيه".

قوله: "والقرآن أن يتفهموه" في رواية يحيى: "يتدبروه" .

قوله: "ويدعوا الناس" من الوَدْع بمعنى الترك .

قـال القسـطلاني: "الاقتداء واجـب لعمـوم قولـه تعـالى: ﴿**ومـا آتـاكم الرسول فخذوه**﴾ وقوله: ﴿**فاتبعوني يحببكم الله**﴾ فيجب اتباعه في فعله كمـا يجب في قوله حتى يقوم دليل على الندب أو الخصوصية" .

قال العيني: "هذا بابٌ" في وجوب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وسنته أقواله وأفعاله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ .

قال العيني: "مطابقته للترجمة تؤخذ من معنى الحديث، لأن الذي يجتنب عما نهاه نبي الله ﷺ ويأتمر بما أمره به يكون ممن اقتدى بسنن النبي ﷺ .

حادي عشر: اللغة وغريب اللفظ:

قوله: دعوني ، قال ابن فارس:" الدال والعين أصل واحد منقاس مطرد وهو يدل على حركة ودفع واضطراب. فالدَّعُّ: الدفع؛ يقال: دَعَعْتُه أدعه دعًّا".[٣٠] وقال الراغب:" الدع الدفع الشديد وأصله أن يقال للعاثر دَعْ دَعْ، قال تعالى:﴿ **يوم يُدَعُّونَ إلى نار جهنم دعاً** ﴾ (الطور ١٣)[٣١] .وقال ابن الأثير:" الدع الطرد والدفع، ومنه الحديث:"اللهم دُعَّهما إلى النار دعاً" [٣٢]

والمعنى في حديثنا كما قال العيني: اتركوني[٣٣]. قال ابن حجر: في رواية مسلم: "ذروني" وهي بمعنى دعوني.

قوله:" ما تركتكم" الترك التخلية عن الشيء وهو قياس الباب، ولذلك تسمى البيضة بالعراء تريكة، وتَرَاكِ بمعنى اترك.[٣٤] وقال الراغب: ترك الشيء رفضه؛ قصداً واختياراً، أو قهراً واضطراراً[٣٥] ومنه الآية:﴿**وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** ﴾ (الكهف ٩٩) ومنه الحديث:" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركهافقد كفر" قال ابن الأثير:" الترك أصله بيض النعام في الفلاة[٣٦]

---

[٣٠]- ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٢/٢٥٧

[٣١] -الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ٣١٤

[٣٢] -ابن الأثير في النهاية ٢/١١٩.

[٣٣] -العمدة ٢-/٢١١

[٣٤] - ابن فارس ١/٢٤٦

[٣٥] - المفردات للراغب ١٦٦

[٣٦] - النهاية ١/١٨٨

والمعنى في حديثنا: كماقال ابن حجر وغيره: أي مدة تركي إياكم بغير أمر بشيء ولا نهي عن شيء، وإنما غاير بين اللفظين لأنهم أماتوا الفعل الماضي واسم الفاعل منهما واسم مفعوليهما وأثبتوا الفعل المضارع وهو يذر وفعل الأمر وهو ذر ومثله دع ويدع.

وقال: ويحتمل أن يكون ذكر ذلك على سبيل التفنن في العبارة، وإلا لقال اتركوني، والمراد بهذا الأمر ترك السؤال لما فيه غالباً من التعنت، وخشية أن تقع الإجابة بأمر يستثقل، فقد يؤدي إلى ترك الإمتثال فتقع المخالفة.[٣٧]

قال ابن حجر:قال ابن فرح[٣٨]:" معنى قوله: ذروني ما تركتكم" لا تكثروا من الاستفصال عن المواضع التي تكون مفيده لوجه ما ظهر ولو كانت صالحةلغيره، كما أن قوله حجوا وإن كان صالحا للتكرار فينبغي أن يكتفى بمايصدق عليه اللفظ وهو المرة فإن الأصل عدم الزيادة، ولا تكثروا التثقيل عن ذلك لانه يفضي إلى مثل ما وقع لبني إسرائيل، إذ أمروا أن يذبحوا البقره فلو ذبحوا أي بقرة كانت لامتثلوا ولكنهم شددوا فشدد عليهم، وبهذا تظهر مناسبة قوله:" فإنما أهلك من كان قبلكم".

قوله:" فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبياتهم " حرف حصر، ويأتي محصورها متأخراً دائماً.

فإنما: الفاء تعليلية وهي: حرف بمعنى لأجل مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

---

٣٧ -الفتح ٣٢٤/١٣

٣٨ – هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فرح الأشبيلي الشافعي، نزيل دمشق المتوفى سنة تسع وتسعين وستمائة له شرح على الأربعين للنووية والنقل عنه(انظر شذرات الذهب ٤٤٣/٥ وكشف الظنون لحاجي خليفة ٩٥م١٣٢٩ والرسالة المستطرفة٢١٨) ووقع في النسخة المطبوعة من فتح الباري: ابن فرج والصواب ما ورد في مصادر الحاشية.

إنما: إنما مركبة من "إنَّ" المشبهة بالفعل وقد بطل عملها و"ما" الزائدة الكافة التي أبطلت عمل "إنَّ" وتعرب" إنَّ" حرف توكيد بطل عمله لدخول ما الكافة عليه مبني على الفتح لا محل له من الإعراب و"ما" حرف زائد وكاف مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

أهلك: فعل ماضي مبني على الفتح

ومَنْ: اسم موصول بمعنى الذي مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

كان: فعل ماضي مبني على الفتح وهو تام لأنه بمعنى وُجِدَ والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

قبلكم: قبل ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالأضافة والميم للجمع.

سؤالهم: سؤال فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة وهو مضاف والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالأضافة والميم للجمع.

الواو: حرف عطف مبني على الفتح لامحل له من الإعراب.

اختلافهم: اختلاف معطوف على سؤال وهو مرفوع و علامة رفعه الضمة الظاهرة وهو مضاف والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالأضافة والميم للجمع.

على: حرف جر مبني على السكون.

أنبيائهم: اسم مجرور وعلامة جره الكسر الظاهر وهو مضاف والهاء ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بالأضافة والميم للجمع.

قوله: أهلك يقول ابن فارس:" الهاء واللام والفاء يدل على كسر وسقوط منه الهلاك ولذلك يقال للميت هلك ومنه اهتلكت القطاة خوف

البازي، إذا رمت نفسها على المهالك [39] ويقسم الراغب الهلاك إلى ثلاثة أوجه؛ افتقاد الشيء عنك ومنه:﴿ هلك عني سلطانية﴾ (الحاقة ٢٩)وهلاك الشيء باستحالة وفساد ومنه:﴿ يهلك الحرث والنسل﴾ (البقرة ٢,٥) والثالث:الموت ﴿ إن امرؤ هلك﴾(النساء ١٧٦) والرابع: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً، وذلك المسمى فناءً ومنه الآية:﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾(القصص ٨٨)[40].

وفي الحديث:" ما خالطت الصدقة مالاً إلا أهلكته" والمهلكة ؛ موضع الهلاك وقيل للحروب مهالك.[41]

والمعنى في حديثنا: أن تشديد الأمم السابقة على نفسها بكثرة السؤال أدى بها إلى الشدة والغلو في الدين كما في قصة بقرة يهود.

قوله: من كان قبلكم لا يمكن حملها على اليهود فحسب، وإن كثرت الأدلة التي تؤيد حملها عليهم، لكن يبقى للعموم اللفظي دلالته.

قال في الفتح: في رواية غير الكُشْمِيْهَنِي: أُهلِك وقال بعد ذلك بسؤالهم أي بسبب سؤالهم، ووقع في رواية همام عند أحمد:" فإنما هلك".

قوله: من كان أي الذين كانوا قبلكم من أهل الكتاب.

قوله: سؤالهم، السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة.[42]

---

[39] – ابن فارس ٦٢/٦

[40] – الراغب ٨٤٤

[41] – النهاية٥/٢٧.

[42] – الراغب ٤٣٧.

قوله: واختلافهم قال النووي برفع الفاء لا بكسرها.

قوله: على أنبيائهم، جمع نبي والنبي بغير همز، أصله الهمز فترك الهمز، وقيل هو من النبوة أي الرفعة، وسمي نبياً لرفعة محله عن سائر الناس[٤٣] والمعنى المقصود في الحديث، أن هؤلاء الأقوام كانوا يكثرون السؤال على أنبيائهم حتى شدد عليهم.

قوله: فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه

النهي: الزجر عن الشيء، وهو من حيث المعنى لا فرق أن يكون بالقول أو يكون بغيره ويكون بقولنا: افعل أو لا تفعل [٤٤] وأصل وضع المادة يدل على نهاية وبلوغ، ومنه النهي فإذا نهيته فانتهى فهو بلوغ الغاية.[٤٥]

والنُّهَى: العقول لانها تنهى صاحبها عن ارتكاب غير المعقول، ومفرد النهى نُهْيَة.

والمعنى: ما أوجبت عليكم تركه فاتركوه.

قوله: فاجتنبوه أى فابتعدوا عنه ومنه الجنابة لأن من تلبس بها يجتنب الصلاة ومواطنها.[٤٦] ومنه الآية ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (ابراهيم ٣٥) أي أبعدني عن عبادتها.

قوله: وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم.

الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

أمرتكم: يدل أصل مادة أمر على أصول خمسة ؛ أحدها الأمر ضد

---

[٤٣] -الراغب في المفردات ٧٩.

[٤٤] -الراغب في المفردات ٨٢٦

[٤٥] -ابن فارس ٣٥٩

[٤٦] – معجم المقاييس ٤٨٣/١

النهي، وهو المقصود في هذا الحديث ومنه الآية: ﴿إليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه﴾ (هود ١٢٣) .

قوله:فأتوا، قال الخليل: الإتيان حسن المطاوعة.قال ابن الأثير: والمواتاة: حسن المطاوعة والموافقة[٤٧] والمعنى إحسان الطاعة والموافقة للشارع.

قوله: ما استطعتم معناها: افعلوا قدر استطاعتكم.

قال النووي: هذا من جوامع الكلم وقواعد الإسلام، ويدخل فيه كثير من الأحكام؛ كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط فيأتي بالمقدور، وقال غيره: فيه أن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور وعبر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط بالمعسور.

ثاني عشر: معنى الحديث

قال القاري في مرقاة المفاتيح[٤٨]: قال الطيبي:" هذا من أَجَلِّ قواعد الإسلام، ومن جوامع الكلم، ويندرج فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإنه إذا عجز عن بعض أركانها وشروطها يأتي بالباقي منها".

قال المُلا:" ذروني أي اتركوني مدة تركي إياكم من التكليف، فإنما أهلك اليهود والنصارى بكثرة سؤالهم؛ كسؤالهم رؤية الله، والكلام، و قضية البقرة، واختلافُهم معطوف على الكثرة،لأن نفس الاختلاف موجب للهلاك من غير الكثرة، فقد كانوا إذا أمرهم الإنبياء بأمر اختلفوا عليهم فهلكوا واستحقوا الهلاك، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، فإن ما لا يدرك جله لا يترك كله"[٤٩]

---

[٤٧] – النهاية ٢٢/١

[٤٨] – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمُلّا علي القاري ٣٨٠/٥

[٤٩] – المصدر السابق نفسه.

وسبب ورود الحديث يبين أنّ النبي ﷺ كان يأمر المسلمين بالحج، فإذ بالأقرع بن حابس يسأل: أكل عام يا رسول الله؟ فيسكت النبي ﷺ سكوت المعرض عن السؤال غير المفيد، وإذ بالأقرع يعيد السؤال مرة ومرة، مما يستدعي من النبي ﷺ أن يعلم المسلمين حسن الإستماع كما علمهم حسن القول، بل ليعلمهم متي يستحسن الصمت وعدم الجواب وعدم الرد، ولقد كان الأعراب يغلظون الحديث مع النبي ﷺ ومع غيره، وهذه حادثة تقع مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ تبين بعض غلظة هؤلاء الأعراب فقد روى البخاري في كتاب الإعتصام: أن عيينة بن حصن قال لابن أخيه الحُرّ بن قيس: هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟

قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لعيينة، فلما دخل قال: يابن الخطاب، والله ما تعطينا الجَزلَ، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر ﷺ حتى هَمَّ بأن يقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ :﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وَقّافًا عند كتاب الله.[٥٠]

وتعليم المسلمين السكوت باب من الأبواب الكريمة، التي يحسن عدم إهمالها في العمل التربوي.

فقد نادى أبو سفيان المسلمين في معركة أحد بأعلى صوته: هل فيكم محمد؟ هل فيكم أبو بكر؟ هل فيكم عمر؟ فلم يجبه أحد، لا بل لقد أمرهم النبي ﷺ بالسكوت وعدم الإجابة، مع أن الجواب كان أبعثَ للغيظ في قلب أبي سفيان من السكوت، ولكن الموقف كان يستلزم السكوت، وهنا في حديثنا كان صمت النبي ﷺ ديناً كما كان قوله ﷺ ديناً أيضاً.

---

٥٠ - البخاري مع الفتح ٣١١/١٣ ح ٧٢٨٦

ويتحتم على الدعاة أن يعلموا متى تكون الكلمة؟ ومتى يحسن الصمت؟ في مراوحة بين النهجين؛ لئلا يطغى القول على الصمت، أو يُعكس الأمر فتصمت الدعوة حين تحسن الكلمة.

ثُمَّ ألح الأعرابي في سؤاله، فأجابه النبي ﷺ جواباً فيه الخير للناس جميعاً، فقد أفاد الحديث حكماً جديداً وهو عدم لزوم الحج على المسلم كل عام، وقال: اتركوا الأحكام فإذا لم أعرض لحكم فلا تسألوا عنه لئلا يفرض عليكم، ويشق أداؤه فيصيبكم ما أصاب الأمم السابقة، من تحريف وتزييف وضلال.

ثالث عشر: مشكل الحديث ومختلفه

في حديثنا مشكل ومختلف.

أما المشكل فكيف يسأل الأعرابي ويصمت النبي ﷺ ولا يجبه؟ مع تكليف الله تعالى نبيه ﷺ بالدعوة والإرشاد، ومن المتفق عليه أن الإجابة على الإسئلة من أساليب الدعوة إلى الله.

والمختلف متعلق بقوله ﷺ :" فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم"

وجواب المشكل متعلق بأن الكراهة كانت للسؤال الذى ينبني عليه تحريم مباح أو تشديد على الناس،ويؤيد ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته"[٥١] .

---

[٥١] – البخاري في صحيحه ١٣/٣٢٨ح ٧٢٨٩

ولم يكن النبي ﷺ يكره السؤال ابتداءً ولكنه كان يكره كثرة السؤال لما يترتب على هذه الكثرة من تشديد على النفس والناس وقد كان النبي ﷺ "ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال"[٥٢]

والمعنى الذى لأجله كره النبي ﷺ كثرة السؤال؛ جاء مبينا في آية من كتاب الله تقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ (المائدة ١٠١ و ١٠٢)

فالآية والحديث في هذا الباب صنوان، أرومتهما واحدة، ومؤداهما واحد، وقد بلغت الآيات التي حكت سؤالَ الناسِ النبيَ ﷺ خمس عشرة آية كلها مستفتحة بيسألونك.

قال البغوي في شرح السنة:" المسألة وجهان؛ أحدهما: ما كان على وجه التَّبيُّنِ والتعلم فيما يحتاج إليه من أمر الدين فهو جائز مأمور به قال الله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (النحل ٤٣) و قال تعالى:﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ (يونس ٩٤) وقد سألت الصحابة رسول الله ﷺ مسائل، فأنزل الله تعالى بيانها في كتابه. كسؤال الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما".

والوجه الآخر:" ما كان على وجه التكلف فهو مكروه فسكوت صاحب

---

[٥٢] البخاري ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٤٧٧

إسرائيل على أنفسهم بالسؤال عن وصف البقرة مع وقوع الغنية عنه بالبيان المتقدم فشدد الله عليهم.[٥٣]

وقال ابن حجر في الفتح[٥٤]:" يؤيده ورود الزجر في الحديث عن ذلك وذم السلف، فعند أحمد من حديث معاوية:" أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات" قال الأوزاعي: هي شداد المسائل وقال إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتُهم أقل الناس علماً" وقال ابن العربي:" كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم، فأما بعد فقد أُمن ذلك، لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في المسائل التي لم تقع، وإنه لمكروه إن لم يكن حراما إلا للعلماء فإنهم فرعوا ومهدوا فنفع الله مَنْ بعدهم بذلك، ولا سيما مع ذهاب العلم ودروس العلماء".

والخلاصة أن الله ﷻ كره للمسلمين كثرة السؤال؛ لما يترتب عليه من تشديد على النفس وعجز عند التكليف، وهو المعنى الذي أشار الحديث له.كما كره الأسئلة للتعنيت والتبكيت، وكره تكلف البحث في شداد المسائل، وكره بحث ما لم يقع من المسائل إلا للعلماء، وجاز سؤال أهل الذكر وإن كثر.

ويبقى المختلف في الحديث، وقد بحثه الطحاوي في شرح مشكل الآثار فقال:" فتأملنا هذا الحديث لنقف على المعنى الذي فرق به رسول الله ﷺ بيْن ما ينهى عنه فأمر باجتنابه اجتناباً مطلقاً، وبين ما يأمر به، فجعل ذلك على ما يستطيعه المأمورون ولم يجعله أمراً مطلقاً، فوجدنا الأشياء التي ينهى عنها قد كان المُنْهَوْن عنها مستطيعين لفعلها، فنهاهم أن يفعلوها في المستأنف، ووجدنا الأشياء التي يؤمرون بفعلها قد يكون ما يطيقونه، وقد يكون ما يطيقونه، وقد يكون مما يعجزون عنه، ولم يكلفوا في ذلك إلا ما

---

[٥٣] – البغوي في شرح السنة ١/ ٣١٠ – ٣١١

[٥٤] – الفتح ١٣/٣٢٧

يطيقونه منها، كما قال الله تعالى:﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ (البقرة ٢٨٦) فلما كان ما يؤمرون به قد يطيقونه وقد يعجزون عنه قال لهم ﷺ فيه ما ذكر من قوله لهم فيه في هذه الأحاديث، لأنهم بأنفسهم أعلم من قوتها على ذلك من عجزها عنه، فهذا عندنا هو المعنى الذي كان رسول الله ﷺ فرق فيه بين أمره وبين نهيه في هذه الأحاديث التي ذكرنا"[٥٥]

رابع عشر: أحكام الحديث

١- دل الحديث على ذم التعنت وأهله، وبيَّنَ فضيلة اليسر وعدم التشديد على النفس، وذلك من قول النبي ﷺ :" وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم" وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى طريقة النبي ﷺ الناهجة في كل أمره فقالت:" ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن أثم" ومما يدل على ذلك الدرب السابل قوله ﷺ :" إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته"[٥٦] فكأن السائل عن مسألة مباحة ليسبب تحريماً وتعنيتاً على الناس صار مجرماً بعمله هذا، لا بل هو أكثر المسلمين جرماً، وكم كانت حسنة جميلة كلمة سفيان الثوري:" الدين عندنا رخصة من ثقة، أما التشدد فكل أحد يحسنه" ولذا كره النبي ﷺ عمل الثلاثة الذين استقلوا عبادته وقال:" فمن رغب عن سنتي فليس مني" [٥٧] وحين رأى النبي ﷺ اجتماع المسلمين للصلاة بصلاته تهجداً ترك التهجد وقال:" ما زال بكم الذي رأيتُ من صنيعكم حتى خشيت أن يكتب

---

[٥٥] – الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٢/٢٦

[٥٦] – رواه البخاري في صحيحه – الفتح – ١٣/ ٢٦٨ ح ٧٢٨٩ واللفظ له.

[٥٧] – حديث صحيح رواه البخاري وغيره

عليكم ، ولو كتب عليكم ما قمتم به" فكان تعليل النبيﷺ مؤشراً على أن تكليف الناس بعامة بأمر شديد يسبب الحرج الذي ينتهي بترك ذلك التكليف والتقصير في الواجبات، والناظر في حال المتشددين المتنطعين يدرك أنك لن ترى تشدداً في باب إلا رأيت ترخصاً في باب يقابله، ويحسن أن يختم الحكم بخصلة تربوية كان أمير المؤمنين حريصاً تربية الناشئة من صغار الصحابة ﷺ عليها؛ بقول أنس بن مالك ﷺ :" كنا عند عمر فقال:" نهينا عن التكلف"[٥٨] والحديث وثيق الصلة بقوله ﷺ :" ألا هلك المتنطعون" [٥٩].

٢- دل الحديث أن الأصل في الأشياء الإباحة، وهي خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين تخييراً من غير بدل[٦٠] قال السيوطي:" الأصل في الأشياء الإباحة، حتي يدل الدليل على التحريم" هذا مذهبنا. ثم أورد أدلة المذهب على هذه القاعدة [٦١]. وقال ابن حجر:" واستدل به - يعني حديثنا - على أن لا حكم قبل ورود الشرع وأن الأصل في الأشياء عدم الوجوب" [٦٢].

٣- استثنى العلماء المُكْرَه على الحرام في قوله ﷺ :" فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه" قال ابن حجر:" ثُمَّ إن هذا النهي عام في جميع المناهي، ويستثنى من ذلك ما يكره المكلف على فعله كشرب الخمر، وهذا على رأي الجمهور، وخالف قوم فتمسكوا بعموم النهي الوارد في الحديث فقالوا: الإكراه على ارتكاب المعصية لا يبيحها، والصحيح عدم المؤاخذة إذا وجدت صورة الإكراه المعتبرة، واستثنى بعض الشافعية من ذلك الزنى؛ لتصورهم عدم إمكان ذلك".

---

[٥٨] رواه البخاري [illegible] ٣٢٩/١٣ رقم ٧٢٩٣

[illegible]

[illegible] ١١٢/١ والإحكام للآمدي [illegible]

٤- استدل بالحديث من قال: لا يجوز التداوي بشيء محرم كالخمر ، ولا دفع العطش به، ولا إساغة لقمة من غُصَّ بـه؛ والصحيح عند الشافعية جواز الثالثة؛ حفظاً للنفس، فصار كأكل الميتة لمن اضطر، بخلاف التداوي لانه ثبت النهي عنه نصاً، ففي مسلم [٦٣] عن وائل رفعه:" إنه ليس بدواء لكنه داء" ولأبي داود [٦٤] عن أبي الدرداء ﷺ رفعه :" ولا تداوَوا بحرام" وله [٦٥] عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً:" إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها" وأما العطش فإنه لا ينقطع بشربها، ولأنه في معنى التداوي والله أعلم.

قال ابن حجر: والتحقيق أن الأمر باجتناب المنهي على عمومه مالم يعارضه إذنٌ في ارتكاب منهي كأكل الميتة للمضطر، وقال الفاكهاني: لا يتصور امتثال اجتناب المنهي حتى يترك جميعه، فلو اجتنب بعضه لم يعد ممتثلاً، بخلاف الأمر المطلق.

٥ - دل الحديث على الإهتمام بفقه الأولويات في العمل الإسلامي المبارك؛ فاجتناب النهي أولاً وتنفيذ الأمر بعده، ثم الإنصراف إلى بقية الأمور حسب أهميتها، فكأن الحديث أشار إلي ترتيب الأولويات في العمل، وإنما مثل بالنهي والأمر ولم يُرد الحصر بهما، فذكرهما من باب التمثيل الذي يذكر فيه الأمر ويريد كله.

٦ - دل حديثنا على زجر الأستاذ الطالبَ المسيء؛ وذلك من زجره ﷺ الأقرعَ بن حابس ويستحب الختم على كل كريم في تكرمته من داعية أو مربٍ أو رائد أو قائد أو رئيس.

٧- في حديثنا دلالة على ضرب المثل؛ تعليماً وتفهيماً؛ فقد مثَّل النبي ﷺ بهلاك الأمم السابقة.

---

[٦٣] - رواه مسلم

[٦٤] - رواه أبو داوود

[٦٥] - رواه أبو داوود

٨ – في الحديث إشارة إلى الإستفادة من تجارب الأمم والشعوب، فقد أفاد النبي ﷺ من التجربة الإسرائيلية المتشددة فنصح لنا حتى لا نتبعهم في شيء مما تشددوا فيه.

والاستفادة من تجارب الأمم والشعوب سنة نبوية كريمة، يدلنا على ذلك قوله ﷺ :" لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم" [٦٦] وما استشارة النبي ﷺ ورقةَ بن نوفل إلا من هذا الباب [٦٧].

٩– دل الحديث على كراهة الخوض فيما لا ينبني عليه عمل، وكره تكلف البحث في شداد المسائل، وكره بحث ما لم يقع من المسائل إلا للعلماء.

١٠– فيه من الأدب أن سكوت العالم عن الجواب يوجب على المتعلم ترك الإلحاح عليه، فإن ذلك يغضبه، قال ابن عبد البر:" قلما أُغضب عالم إلا حرمت فائدته، قال أبو سلمة بن عبد الرحمن:" لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علماً"[٦٨]

خامس عشر: اللطائف الدعوية والتربوية

١– في الحديث دلالة على أن التخلف عن منهاج النبوة يؤدي بالأمة إلى الهلاك، وفيه أن الإلتزام بنهج النبي ﷺ عصمة من الهلاك.

٢– فيه لطيفة تربوية تبين أن على المربي أن يحمل مريديه على الأمور الجادة المثمرة، بعيداً عن الخوض فيما لا يلزم.

٣– فيه من اللطائف أن الخلاف لا يأتي بخير؛ فقد أضر بالأمم السابقة مع وجود الأنبياء بينهم، فكيف بنا ولا أنبياء بيننا؟

---

[٦٦] – رواه مسلم ٢/ ١٠٦٦ ح ١٤٤٢.

[٦٧] – انظر البخاري الحديث الثاني من صحيحه باب كيف كان بدءُ الوحي.

[٦٨] – ابن عبد البر التمهيد ٣/٢٦٥.

٤- فيه من اللطائف أن للقائد أن يأمر وينهى، والأكثر لطفاً؛ أن على القائد أن يحسن استيعاب جنده" فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم".

٥- في اختيار النبي ﷺ لكلمة منه " فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم" التي تفيد التبعيض، دلالة رفق المربي على طلابه إذ يكتفي في تنفيذ أمره ببعض التنفيذ، ولا يقف لهم على دقائق أمره.

٦- في تقديم النبي ﷺ الهلاك على السؤال والاختلاف إشارة إلى خطورة الأختلاف والسؤال، فكأنه ﷺ قدم النتيجة قبل أن تجري التجربة.

الحديث الثامن

قال الإمام البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة

باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى:﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ (المائدة١٠١)

قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرىء حدثنا سعيد حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي ﷺ قال:

" إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته"[٦٩]

أولاً: تخريج الحديث

اخرجه البخاري (٧٢٨٩) ومسلم (٢٣٥٨) وأبو داوود (٤٦١٠) والحميدي في المسند (٦٧) وأحمد في المسند ١/ ١٧٦و١٧٩ والبغوي في شرح السنة (١٤٤) وابن حبان في الإحسان (١١٠)[٧٠]

وللحديث شاهد عن عمير بن قتادة الليثي ﷺ عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٧) والطبراني في الكبير(٤٩/١٧) ومداره على بكر بن خنيس وهو ضعيف، قال الهيثمي في المجمع:" رواه الطبراني في المجمع وفيه بكر بن خنيس وهو ضعيف" [٧١] وضعف الذهبي الحديث في التلخيص.

---

[٦٩] – رواه البخاري في صحيحه – الفتح – ١٣/ ٣٢٨ ح ٧٢٨٩ واللفظ له.

[٧٠] – الأرقام تعني رقم الحديث في مظانه المذكورة عدا مسند أحمد فالمقصود الصفحة.

[٧١] – الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٣١.

ثانياً: دراسة السند

١- عبد الله بن يزيد المقرىء من كبار شيوخ البخاري أقرأ القرآن نيفا وسبعين سنة، ثقة فاضل، أصله من البصرة أو الأهواز ت وفي سنة ثلاث عشر ومائتين، أخرج له الستة.

٢- سعيد بن أبي أيوب الخزاعي مولاهم المصري أبو يحيى بن مِقْلاص ثقة ثبت مات سنة إحدى وستين ومائة وكان مولده سنة مائة، أخرج له الستة.

٣- عُقيل بن خالد بن عَقيل الأيلي؛ أبو خالد الأموي مولاهم ثقة ثبت، سكن المدينة ثم الشام ثم مصر مات سنة أربع وأربعين ومائة، روى له الستة.

٤- ابن شهاب: هو الزهري سبقت ترجمته في هذه الدراسة.

٥- عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني الثقة مات سنة أربع ومائة، أخرج له الستة.

٦- سعد بن أبي وقاص الزهري، يُكنّى أبا إسحاق؛ أحد العشرة المبشرين بالجنة، أول مقاتلي الدعوة، جمع له رسول الله ﷺ أبويه فقال له:"فداك أبي وأمي" قائد مقاتل شجاع فارس رامٍ عالمٌ، كان مستجاب الدعوة، مات في قصره بالعقيق قرب المدينة، وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة وفاة.[٧٢]

ثالثاً: لطائف السند

١- فيه رواية التابعي عن التابعي الزهري عن عامر بن سعد.

٢- فيه رواية الابن عن أبيه عمر عن سعد.

---

[٧٢] - دراسة الرجال من التقريب لعدم وجود علل في رجال السند أو وجود من تُكلم فيه.

٣- فيه ثلاثة رواة من بني زهرة؛ الزهري وعامر وسعد بن أبي وقاص.

٤- رواته مدنيون عدا شيخ البخاري وشيخ شيخه، وقد دخلا المدينة زادها الله تشريفاً.

رابعاً: رحلة الحديث

حديثنا مدني تلقاه سعد من النبي ﷺ بالمدينة غالباً وعنه تلقاه ولده عامر وعنه أخذه الزهري وعنه عُقيل المتنقل بين مصر والحجاز والشام وعنه أخذه سعيد بن أبي أيوب المصري الذي ارتحل به إلى الحج غالباً فأخذه عنه عبد الله بن يزيد المكي، فقد قضى الأربعين سنة الأخيرة من عمره في مكة، وأخذه عنه البخاري في رحلته إلى مكة ثم طوّف به في البلاد.

فحديثنا مدني مصري مكي.

خامساً: شجرة الإسناد

سادساً: ألفاظ التلقي والأداء

فيه التحديث بصيغة الجمع وبصيغة المفرد، وعنعنة الثقات غير المدلسين، وقد ثبت لقاؤهم بشيوخهم.

سابعاً: مناهج البخاري في هذا الحديث

فيه من مناهجه الترجمة للحديث، فقد ترجمه بحكم وحديث وآية.ولم يتميز بشيء من مناهجه الأخرى.

ثامناً: سبب وروده وسبب إيراده

لم أقف له على سبب ورود أو سبب إيراد بعد تخريجه استقصاءً، ولم يورده ابن حمزة في كتابه" البيان والتعريف".

تاسعاً: الترجمة والمطابقة

ترجمه البخاري هنا بقوله: باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لايعنيه وقوله تعالى:﴿**لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾(المائدة ١٠١).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل وترجمه النووي فيه بقوله:باب توقيره ﷺ.وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك.[٧٣]

وأخرجه أبو داوود في سننه في كتاب السنة باب لزوم السنة.

وأخرجه ابن حبان في الإحسان وترجمه بقوله: الإخبار عما يجب على المرء من ترك التكلف في دين الله بما تُنُكب عنه وأغضي عن إبدائه.

واخرجه البغوي في شرح السنة في كتاب العلم باب طرح المسألة

---

[٧٣] – مسلم بشرح النووي ١٥/ ١١٠

على الأصحاب ليختبر ما عندهم من العلم، قال الله تعالى:﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ (البقرة ٣١).

ومطابقة الحديث لتراجم الأئمة رحمهم الله موافقة بتمام أو نقص وهي ظاهرة بينة، غير ترجمة البغوي فإنها تطابق الحديث بوجه من إعمال الفكر والنظر؛ ذلك أنه ترجمه ترجمةً تفيد استحباب السؤالات، وإن كانت لاختبار ما عند الأصحاب من العلم، فاستلزم ذلك إيراد حديثنا ليبينَ أن الأمر ليس مطلقاً؛ فإنّ إطلاق باب السؤالات محدود بكونها ذات فائدة ترتجى ومصلحة تجتبى، وعليه فالمطابقة تامة.

أما مطابقة ترجمة البخاري: باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لايعنيه وقوله تعالى:﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾(المائدة ١٠١) لحديثنا فكما قال العيني:" مطابقته للجزء الثاني للترجمة ظاهرة"[٧٤]

قلت: ومطابقته للترجمة كلها ظاهر أيضاً؛ فإنّ كثرة السؤالات تؤدي للوقوع في الوعيد المذكور؛ إن أعظم المسلمين جرماً، وهذا أمر مكروه.

ويُتَرْجَمُ للحديث بقولنا:

باب في المجرمين الذين يسعون لتحريم المباح بكثرة تنقيرهم[٧٥] في المسائل.

وبابٌ الدين عندنا الرخصة من العالم الثقة.

وبابٌ الأصل في الأشياء الإباحة.

وبابٌ إنّ مع العسر يسراً وتقول عائشة: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

ومعنى الترجمة:" هذا باب في بيان ما يكره من كثرة السؤال عن أمور معينة، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، والسؤال عما يكون له

---

[٧٤] – العيني –العمدة – ٢٠/ ٢١٢

[٧٥] – ورد اللفظ في رواية أحمد في المسند.

شاهد في عالم الحس كالسؤال عن قرب الساعة وعن الروح وعن مدة هذه الأمة إلى امثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف، وقوله: وتكلف ما لا يعنيه أي ما لا يهمه[٧٦]

عاشراً: اللغة وغريب اللفظ

قوله: أعظم قال ابن فارس[٧٧]:" العين والظاء والميم أصل واحد يدل على كبر وقوة؛ فالعِظَم: مصدر الشيء العظيم. تقول: عَظُمَ يَعْظُمُ عَظْمَاً، ومعظم الشيء: أكثره، ومن الباب العَظْمُ؛ سُمِّي بذلك لقوته و شدته".

قال الراغب [٧٨]:" أصله كِبْرَ عظمه، ثم استعير لكل كبير، فأجري مجراه، محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنىً ومعناه: الكثرة، ومنه قولهم: جيش عظيم"

وفي النهاية لابن الأثير:" في أسماء الله تعالى العظيم، هو الذي جاوز قدْرُه، وجَلَّ عن حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته، وفي الحديث:" من تَعَظَّم في نفسه لقي الله تبارك وتعالى غضبان" ومعناه؛ الكبر والنخوة"

والمعنى المقصود في الحديث إن من أكثر الناس.

قال ابن حجر في الفتح [٧٩]:" زاد في رواية مسلم:" إن أعظم المسلمين في المسلمين جُرماً" قلت:هي رواية سفيان عنده، قال سفيان:" أحفظه كما أحفظ بسم الله الرحمن الرحيم" ومثله رواية الحميدي ورواية ابن حبان:" إن أعظم الناس" ورواية البغوي:"أعظم المسلمين" دون قوله:" إنّ".

---

[٧٦] – العيني في العمدة ٢٠/٢١١

[٧٧] – معجم مقاييس اللغة ٤/٣٥٥

[٧٨] – للمفردات ٥٧٣

[٧٩] – فتح الباري ١٣/ ٣٣٣

وقال أيضاً: قال الطيبي [٨٠]:" فيه من المبالغة أنه جعله عظيماً ثم فسره بقوله:" جرماً" ليدل على أنه نفسه جرم، قال: وقوله:" في المسلمين" أي في حقهم.

ومعنى المسلمين معروف.

قوله:" جُرْمَاً" قال ابن فارس [٨١]:" الجيم والراء والميم أصل واحد يرجع إليه الفروع ... ومما يُرَدُّ إليه قولهم: جَرَمَ، أي كَسَب لأن الذي يحوزه كأنه اقتطعه، وفلان جَرِيمة أهله، أي كاسبهم. والجُرْمُ والجريمة الذنب؛ لأنه كَسْبٌ، والكسب اقتطاع".

قال الراغب [٨٢]:" أصل الجرم: قطع الثَّمرة عن الشجر، واستعير ذلك لكل كسب مكروه، ولا يكاد يقال في عامَّة كلامهم للكَيِّس المحمود، ومنه ما ورد في كسب المجرمين السيئات".

قال ابن الأثير في النهاية [٨٣]:" أصله من الجَرْم؛ وهو القطع، ومنه الحديث:" أعظم المسلمين جرماً" الجُرم الذنب، وقد جَرَم واجترم وتجرَّم".

والمعنى المقصود في الحديث: الذنب، وسبب الجرم:" إلحاقُ المسلمينَ المضرةَ لسؤاله، وهي منعهم التصرف فيما كان حلالاً قبل مسألته.

قلت: رواية أحمد الأولى:" إن من أكبر المسلمين في المسلمين جرماً رجلاً سأل عن شيء ونَقِّر عنه حتى أُنزل في ذلك الشيء تحريم من أجل مسألته" فاستعمل لفظ أكبر بدل أعظم، والمعنى واحد.وفي روايته الثانية:"فحرم على الناس من أجل مسألته" فقال: الناس بدل المسلمين.

---

[٨٠] – هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي الإمام المشهور المتوفى سنة ٧٤٣ هـ .(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع بشوكاني ١/٢٣٠)

[٨١] – معجم مقاييس اللغة ١/٤٤٥

[٨٢] – المفردات ١٩٢

[٨٣] – النهاية ١/٢٦٢

قوله: من سأل وهي كلمة واحدة، يقال: سأل يسأل سؤالاً ومسألة، ورجل سُؤَلة: كثير السؤال [٨٤] وقال الراغب: السؤال استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال [٨٥]

قال في النهاية:" سأل... وفيه أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن أمر لم يحرم..." قال: السؤال في كتاب الله والحديث نوعان؛ أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تمس الحاجة إليه، فهو مباح أو مندوب أو مأمور به والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت فهو مكروه ومنهي عنه، فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإنما هو ردع وزجر للسائل، وإن وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ، وفي الحديث أنه ﷺ كره المسائل وعابها ،أراد المسائل الدقيقة التي لا يحتاج إليها، وقد تكرر ذكر السؤال والمسائل وذمها في الحديث.[٨٦]

قوله: عن شيء

قلت: كذا رواية البخاري وإحدى روايتي مسلم ورواية أحمد الأولى.وورد في رواية لمسلم وأبي داوود والحميدي وأحمد في روايته الثانية:"عن أمر" وفي رواية ابن حبان:" عن مسألة " والمعنى واحد.

قوله: لم يُحَرَّمْ.قال ابن فارس:" الحاء والراء والميم أصل واحدوهو المنع الشديد، فالحرام ضد الحلال، وحريم البئر؛ ما حولها يحرم على غير صاحبها أن يحفر فيها [٨٧]وقال الراغب:" الحرام الممنوع تسخيرا أو قهرا أو

---

[٨٤] – ابن فارس ١٢٤/٣

[٨٥] – المفردات ٤٣٧.

[٨٦] – النهاية ٣٢٨/٢

[٨٧] – معجم المقاييس ٢/ ٤٥.

عقلاً أو شرعاً[٨٨].والمعنى في الحديث، التحريم الشرعي الذي يتسبب بـه أكثر المسلمين جرماً.

قال ابن حجر:" ولمسلم في رواية معمر:" رجل سأل عن شيء ونقر عنه"[٨٩]قلت: وهي رواية أحمد:"إن من أكبر المسلمين في المسلمين جرماً رجلاً سأل عن شيء ونقّر عنه حتى أُنزل في ذلك الشيء تحريم من أجل مسألته"

قال ابن حجر: زاد مسلم: على الناس قلت: رواية مسلم:"على الناس" ليس هذا محلها؛ فقد رواه هكذا:"من سأل عن أمر لم يحرم فحرم على الناس" وكذلك رواية أبي داوود وفي رواية ابن حبان:" لم تحرم"

قوله:" من أجل مسألته" أي بسببها، وسبق بحث معنى المسألة في الحديث.

حادي عشر: معنى الحديث

يُبَيِّن الحديث أن طائفة من الناس تستهويها كثرة السؤال والتنقير عن غوامض المسائل، وأن هؤلاء الناس ربما كانوا سبباً في تحريم بعض المباحات لاجل سؤالاتهم وتنقيراتهم كما ورد في رواية مسلم وأحمد.

وأشار النبي ﷺ إلى أنّ هؤلاء الناس من أعظم الناس إثماً، قال القاري: قال الطيبي:" أصله أجرم المسلمين فعدل إلى أعظم، ثم فُسر بـ"جرماً" ليدل على أنّ الأعظم نفسه جرم" لانه بسؤاله كان سبباً في التغليظ على غيره، وإنما كان أعظمَ جُرْمَاً لتعدي جنايته إلى جميع المسلمين بشؤم لجاجته[٩٠].

---

[٨٨] -المفردات ٢٢٩.

[٨٩] - الفتح ١٣/ ٣٣٣ وهي عند مسلم ١٨٣١/٤ المتابعة الأخيرة.

[٩٠] - المرقاة شرح المشكاة ١/ ٣٨٩.

قال الطحاوي [٩١]:" تأملنا هذا الحديث لنقف على المراد به إن شاء الله، فوجدنا من كان يسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فإنما كان يطلب الجواب من الله فيه، لأن الذي كان يجيبهم عنه به إنما هو الذي يوحيه الله ﷻ إليه . وقد أنزل الله ﷻ عليه:﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾(طه ١٤٤) فأمره ﷻ بالإنتظار لما ينزل عليه من أحكامه حتى ينزله عليه، وما نهاه عنه من ذلك كانت أمته منهية عنه، وإنْ كان قد يكون ما يأتيه من الله ﷻ جواباً عما يسأل عنه قد يكون غير قرآن، فإنه في معنى القرآن أيضاً، وكان فيما أُنزل عليه ﷺ ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾(الأنعام ٣٨) وكان القرآن ينزل بعد ذلك كما كان ينزل قبله؛ فعلمنا بذلك أن قوله ﷻ ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ بمعنى: ما نفرط في الكتاب من شيء.

قلت: وعليه فإذا كان المعنى كما قال الطحاوي، فالحديث يأمر بعدم السؤال، لا لكراهة السؤال نفسه؛ وإنما لورود الأمر والنهي في القرآن.

ثاني عشر :مشكل الحديث ومختلفه

أشكل في حديثنا بناء التحريم على سؤالات الصحابة ﷺ فكيف يحرم أمر بسبب سؤال واحد من الناس؟

قال في الفتح: قال ابن بطال [٩٢] :" ظاهر الحديث يتمسك به القدرية في أن الله يفعل شيئاً من أجل شيء وليس كذلك، بل هو على كل شيء قدير؛ فهو فاعل السبب والمسبب كل ذلك بتقديره، ولكن الحديث محمول على التحذير مما ذكر، وأهل السنة لا ينكرون إمكان التعليل وإنما ينكرون وجوبه؛ فلا يمتنع أن

---

[٩١] – الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤/١٣٥.

[٩٢] – علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري، القرطبي المالكي ، شرح الجامع الصحيح(الذهبي سير اعلام النبلاء١٨/ ٤٧ ومعجم المؤلفين ٢/٤٣٨).

يكون المقدر الشيء الفلاني تعلق به الحرمة إن سئل عنه، فقد سبق القضاء بذلك لا أن السؤال علة التحريم" [٩٣]

ومما وقع زمن التشريع قول عمر بن الخطاب ﷺ :" اللهم بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء" فنزلت آيات تحريم الخمر منجمةً حتى قال عمر ﷺ :" انتهينا انتهينا".[٩٤] فهل يدخل عمر ﷺ ضمن هذا الوعيد؟

قال الطحاوي: فإن قال قائل: فهل تدخل سؤالات عمر المذكورات في سبب نزول آى الخمر في هذا الحديث قيل له: ليس بداخلٍ لأنه إنما سأل عن شيء قد تقدم تحريم الله له قبل ذلك"[٩٥].

قلت: لم يسأل عمر ﷺ بعد تحريم الخمر، ووقع سؤاله قبل نزول آى التحريم الثلاث [٩٦] والأولى أن يقال: إن سؤالات عمر ﷺ عن الخمر كانت بعد استشراء ضررها في المدينة المنورة، ويشهد لهذا المعنى الذي ذهبت إليه حادثة علي وحمزة رضي الله عنهما فقد شرب حمزة ﷺ حتى ثَمِلَ وجَبَّ أسنمة شارفي علي ﷺ وقال للنبي ﷺ وعلي: هل أنتما إلا من عبيد آبائي؟[٩٧] وحادثة سعد ﷺ يوم شربها هو ومن معه فوقع بينهم الشجار الذي فُرز يومه أنف سعد ﷺ [٩٨]. قال الطحاوي:" في ذلك عظيم منفعة سؤال عمر ﷺ

---

[٩٣] – ابن حجر في الفتح ١٣/٣٣٣.

[٩٤] – انظر شرح مشكل الآثار للطحاوي ٤/ ١٣٥– ١٣٦ والحديث صحيح قال ابن كثير وابن حجر في الفتح:" صححه علي بن المديني والترمذي"

[٩٥] – الطحاوي في شرح المشكل بتصرف واختصار ٤/١٣٨

[٩٦] – انظر لذلك مسند أحمد ١/٣د وأسباب النزول للواحدي ١٣٨ وسنن أبي داوود الحديث ٣٦٧٠ والحديث صححه ابن كثير وابن حجر وابن المديني والترمذي.

[٩٧] – الحديث متفق عليه ؛ البخاري ورقمه كما في الفتح ٤٠٠٣ ومسلم ورقمه١٩٧٩.

[٩٨] – الحديث من رواية مسلم في صحيحه ٣/ ١٨٧٧ رقم ٤٣.

لمسلمين حتى علموا أن تحريم الله عز وجل الخمر كان عليهم خيراً؛ إذ كان حلها يوقع بينهم العداوة والبغضاء والجنايات، وتحريمها ليس ذلك فيه" [99]

ويشكل في الحديث تعارض الأمر بالسؤال والنهي عنه، وقد بينته في الحديث السابق، وزدته بياناً قبل قليل في فقرة اللغة وغريب اللفظ.

ثالث عشر : أحكام الحديث

١- قال النووي: نهاهم عن إكثار السؤال والإبتداء بالسؤال عما لا يقع، وكره ذلك لمعان؛ منها أنه ربما كان سبباً لتحريم شيء على المسلمين؛ فيلحقهم به المشقة أو أنه ربما كان في الجواب ما يكرهه السائل ويسوؤه، أو لأنهم ربما أحفوه ﷺ بالمسألة، والحفوة المشقة والأذى فيكون ذلك سبباً لهلاكهم [100].

قال النووي: وقال عياض: المراد بالجرم هنا الحرج على المسلمين لا الذي هو بمعنى الإثم المعاقب عليه، لأن السؤال كان مباحاً،ولهذا قال:" سلوني" وتعقبه النووي فقال:" هذا الذي قاله القاضي ضعيف بل باطل، والصواب الذي قاله الخطابي[101] وصاحب التحرير وجماهير العلماء في شرح هذا الحديث: أن المراد بالجرم هنا الإثم والذنب. قال الخطابي وغيره، هذا الحديث فيمن سأل تكلفاً أو تعنتاً فيما لا حاجة به إليه، فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها فلا إثم عليه ولا عتب لقوله تعالى:﴿ فاسألوا أهل الذكر﴾.[102]

قلت: والصواب التفصيل؛ فثمَّ فرق بيّن السائل تعنتاً وتبكيتاً، والسائل استفساراً وتعليماً، فالأول آثم؛ لتعنته وإحراجه المسلمين، و الثاني متعلم لا

---

[99] – الطحاوي في مشكل الآثار ٤/١٤٠ بتصرف يسير.

[100] – النووي في شرح مسلم ١٥/١١٠

[101] – يرى الخطابي في أعلام الحديث التفصيل في المسائل فلا يحرمها على الإطلاق.

[102] – انظر الفتح ١٣/٣٣٣ وشرح مسلم للنووي ١٥/ ١١١ والخطابي في أعلام الحديث ٢/٨٠٧. بتصرف.

حرج عليه ولو سبب سؤاله حرجاً أو تحريم أمر كان مباحاً، ولنا على نقول دليل واضح صريح وهو قول عمر ﷺ :" اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء" فنزلت آيات تحريم الخمر منجمةً حتى قال عمر ﷺ :" انتهينا انتهينا".[١٠٣]

وعليه فلكلام القاضي عياض وجاهة كوجاهة رأي الجمهور، ووجدتُ كلام الطحاوي في مشكل الآثار وابن الأثير في النهاية مطابقاً لرأي القاضي عياض، قال ابن الأثير [١٠٤]: السؤال في كتاب الله والحديث نوعان؛ أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تمس الحاجة إليه، فهو مباح أو مندوب أو مأمور به والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت فهو مكروه ومنهي عنه، بل وللخطابي تفصيل في الحكم؛ فهو يقول:" وقد جاءت المسائل في كتاب الله ﷻ على ضربين: أحدهما؛ محمود والضرب الثاني، مذموم مما لا ضرورة بهم إلى علمه، وإليه مرجع الآية:﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة ١٠١) [١٠٥].

ويرى ابن العربي جواز الإبتداء بالسؤال عما لا يقع، يقول:" اعتقد قوم من الغافلين تحريم أسئلة النوازل حتى تقع تعلقاً بهذه الآية :﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة ١٠١) ، وليس كذلك؛ لأنّ هذه الآية مصرحة بأن السؤال المنهي عنه إنما كان فيما تقع المَساءةُ في جوابه، ولا مساءة في جواب نوازل الوقت فافترقا، وقال ابن حجر في الفتح[١٠٦]:"قال ابن العربي:" كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم، فأما بعد فقد أُمن ذلك، لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في

---

[١٠٣] - انظر شرح مشكل الآثار للطحاوي ٤/ ١٣٥- ١٣٦ والحديث صحيح قال ابن كثير وابن حجر في الفتح:" صححه علي بن المديني والترمذي"

[١٠٤] - النهاية ٢/٣٢٨

[١٠٥] - الخطابي أعلام الحديث ٢/٨٠٩.

[١٠٦] - الفتح ١٣/٣٢٧

المسائل التي لم تقع، وإنه لمكروه إن لم يكن حراما إلا للعلماء فإنهم فرعوا ومهدوا فنفع الله مَنْ بعدهم بذلك، ولا سيما مع ذهاب العلم ودروس العلماء".

والخلاصة أن الله ﷻ كره للمسلمين كثرة السؤال؛ لما يترتب عليه من تحريم مباحاتٍ كانت لهم إليها حاجة. ولم يرض القرطبي قول ابن العربي:"قوم من الغافلين" وذكر أدلته التي تفيد أن قوماً من كبار السلف كانوا يرون ذلك منهم عمر بن الخطاب ﷺ. [١٠٧]

٢- قال ابن عبد البر:" السؤال اليوم لا يخاف منه أن ينزل تحريم ولا تحليل من أجله، فمن سأل مستفهماً راغباً في العلم ونَفي الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العِيِّ السؤال، ومن سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره" [١٠٨]

٣- دل الحديث على أن من لقي شيئاً من المكروه بسبب غيره، كان له أن يؤنب ذلك الذي لقي المكروه بسببه وذلك من قول النبي ﷺ :"إنَّ أعظم المسلمين جرماً" فكان ذلك تعنيفاً.

رابع عشر: لطائف الحديث الدعوية والتربوية

١- فيه من السياسة الشرعية عدم إحراج القيادة بكثرة الأسئلة التي لا جواب لها، أو التي ينبغي تأخير جوابها إلى حين، وأن للقائد حق في زجر من هذا حاله، ومِنْ وصفه بما وصفه النبي ﷺ " إنَّ أعظم المسلمين جرماً".

٢- لا يستدل بالحديث على الحجر على السؤال وتكميم أفواه الجنود وعدم استيعاب تطلعاتهم، إذ الحديث محمول على سؤال التعنيت والتبكيت، بل

---

[١٠٧] – انظر قول ابن العربي وتعليق القرطبي عليه في الجامع لأحكام القرآن ٦/٢١٤.

[١٠٨] – الجامع لأحكام القرآن ٦/٢١٥.

واجب الدعوة أن تجيب عما يجول في خاطر أفرادها قبل أن يكثر الهمس في مناجاة آثمة.

٣- في قوله:" إن من أكبر المسلمين في المسلمين جرماً رجلاً سأل عن شيء ونقّر عنه حتى أُنزل في ذلك الشيء تحريم من أجل مسألته" إشارة إلى كراهية التكلف والتنقير في المسائل التي ينبني عليها التشديد والتحريج.

٤- فيه تسمية الأشياء بأسمائها، و جواز تسمية المسلم مجرماً لأمر فعله، وفيه احتمال إجرام المسلم وإن تعدى إجرامه حتى عم جميع المسلمين.

٥- في الحديث إشارة إلى خطورة اللسان وبيان تعديه وإجرامه.

الحديث التاسع

قال الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة

باب قول النبي ﷺ :"لا تزال طائفة من أمتي على الحق"

وهم أهل العلم.

قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ، قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَيُعْطِي اللَّهُ وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**"

أولاً: تخريج الحديث أخرجه البخاري في عدة مواطن من صحيحه، ومسلم وقد كرره وابو داوود والترمذى وأحمد ومالك في الموطأ والدارمي والطحاوي في المشكل وغيرهم.

وحديثنا متواتر لفظاً، نص على ذلك السيوطي في الأزهار المتناثرة والكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر[1] وعزاه السيوطي إلى معاوية وجابربن سَمُرَة وجابر بن عبد الله وأبي أمامة وأبي هريرة وشرحبيل بن السمط والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وزيد بن الأرقم وعمر ومُرَّة البهزي

---

[1] – نظم المتناثر من الحديث المتواتر رقم ١٤٥.

وزاد الكتاني خمسة آخرين وهم عقبة بن عامر وسعد بن أبي وقاص و ثوبان و سلمة بن نفيل و عمران بن حصين.

قلت: وزدت عليهما رواية أخرى بلفظه عن قُرة بن إياس عند الترمذي قال: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"**[2]

ورواية أخرى بمعناه عند ابن ماجه قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْجَرَّاحُ بْنُ مَلِيحٍ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ زُرْعَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيَّ وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول:**"لايَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ"** [3]

ورواية ثالثة بمعناه عن النواس بن سمعان قال رسول الله ﷺ :**"إن الله جل وعلا يزيغُ قلوب أقوام يقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله على ذلك، وعقر دار المؤمنين الشام"**[4]

وبهذه الشواهد الثلاثة للحديث يصير حديثنا قد روي عن ثمانية عشر نفساً من أصحاب رسول الله ﷺ وقد أفردت هذا الحديث ببحث خاص لإثبات تواتره ودراسته رواية ودراية عما قريب أخرجه بعونه تعالى.

---

[2] – الترمذي في سننه ٢/٤٢٠ح٢١٩٢

[3] – رواه ابن ماجه في سننه ١/٥ح٨ قال البوصيري في الزوائد ١/٤٤:" هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات" قلت: بل الحديث حسن فقيه؛ بكر بن زرعة الخولاني مقبول والجراح بن مليح البهراني صدوق.

[4] – ابن حبان في الإحسان ١٦/ ٢٩٧ ح ٧٣٠٧ قلت: وهو صحيح، والوليد بن مسلم مدلس لا تقبل عنعته لكنه صرح بالسماع في رواية الطبراني في المعجم الكبير (٦٣٥٩).

ثانياً: دراسة السند

١- إسماعيل بن أبي أويس سبقت دراسته، ودراسة علله.

٢- ابن وَهْب هو عبد الله بن وَهْب بن مسلم القرشي مولاهم، أبو محمد المصري الفقيه الثقة الحافظ العابد، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة.

٣- يونس بن يزيد سبقت دراسته، ودراسة علته.

٤- الزهري الإمام الشهير وقد عرفناه دراسةً.

٥- حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الثقة، توفي سنة خمس ومائة.

٦- معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي، صحابي، دمشقي توفي سنة ستين.

ثالثاً: لطائف السند فيه من لطائف الإسناد رواية التابعي عن التابعي الزهري عن حُميد.

رابعاً: رحلة الحديث حديثنا مدني من حيث سماع معاوية له، فقد ورد التصريح بذلك في رواية مالك * وأحمد، قال مالك عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرضي قال: قال معاوية ابن ابي سفيان وهو على المنبر:"أيها الناس،إنه لا مانع لما أعطى الله،ولا معطي لما منع الله، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، ثم قال معاوية: سمعت هؤلاء الكلمات من رسول الله ﷺ على هذه الأعواد.

---

* - مالك ٢/ ص٩٠٠

وروى أحمد [٦] في المسند عن محمد بن كعب القرضي قال: سمعت معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذه الأعواد:" اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت من يرد الله به خيراً بفقه في الدين" ووقع لأحمد رواية أخرى قال محمد بن كعب سمعت معاوية يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا انصرف من الصلاة:" اللهم لا مانع لمات أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد"[٧]

ووقع في رواية أخرى للبخاري أن ذلك وقع من معاوية في حجته التي حجها من الشام أيام خلافته عليها فقد وقع ذلك في رواية حميد أنه سمع معاوية يوم عاشوراء عام حج على المنبر يقول: وذكر حديثاً آخر. فدل ذلك الحديث على أن حميداً سمع الحديث من معاوية عام حج.

وهذا يدل على أن معاوية سمعه من النبي ﷺ في المدينة على المنبر، كما دلت الروايات على أن معاوية أداه على منبر المدينة أيضاً.

وعليه فحديثنا مدني باعتبار معاوية وتلميذه حميد والراوي عنه ابن شهاب ثم شامي باعتبار يونس الأيلي الفلسطيني الشامي ثم مصري فقد انتقل به يونس إلى مصر ثم أخذه عنه ابن وهب المصري إلي المدينة وعنه أخذه إسماعيل المدني.

فكانت رحلة الحديث من المدينة ثم الشام ثم مصر ثم المدينة حتى أخذه البخاري.

خامساً: شجرة الإسناد

---

[٦] - أحمد في المسند ط الدرويش رقم ١٦٨٦٠

[٧] - أحمد في المسند ط الدرويش رقم ١٦٨٨٩

سادساً: ألفاظ التلقي والأداء

فيه التحديث بصيغة الجمع والعنعنة من الثقات غير المدلسين، والإخبار بالإفراد وفيه السماع.

سابعاً:سبب ورود الحديث

لم اقف له على سبب ورود وإن لم يكن سبب للورود فإن علاج النبي ﷺ لظاهرة الطلب والاستعطاء كانت وراء معاني هذا الحديث، وسوف أذكر عند الحديث عن معنى الحديث ما يدل على ذلك، والأمر عندنا للاحتمال لا للقطع، فإنّ القطع يحتاج دليلاً ولا أكاد أقف عليه.

ثامناً: سبب الإيراد

لم أقف له أيضاً على سبب إيراد غير أن خطبة معاوية على المنبر اشتملت على أمور كثيرة حَدَّثَ بها معاوية عن النبي ﷺ منها هذا الحديث.

تاسعاً: الترجمة والمطابقة ترجمه البخاري هنا بقوله: باب قول النبي ﷺ :"لا تزال طائفة من أمتي على الحق" وهم أهل العلم.

وترجمه في كتاب العلم، باب مَنْ يُرِد الله به خيراً يفقه في الدين، وفي فرض الخمس باب قول الله تعالى:﴿ فإن لله خمسه وللرسول﴾.

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة.

والمطابقة بين الحديث و بين تراجم الأئمة مستنبطة من الحديث بمعنى يدل عليه، وترجمة الإمام البخاري مستفادة من الحديث غير قوله: وهم أهل العلم فإن الحديث لا يدل عليها.

قال العيني [٨]:"مطابقته للترجمة ظاهرة" وقال:" أي هذا باب في بيان قول النبي ﷺ إلى آخره، ثم خَرَّجَ حديث الباب ثم قال: قوله: وهم أهل العلم، من كلام البخاري، وقال الترمذي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: سمعت علي بن المديني يقول: "هم أصحاب الحديث".

قلت: بل هم أهل الدين والصلاح من كل أقطار المسلمين وأنماطهم؛ من عالم ومجاهد ومقاتل، وعامل وصانع ومرب،من الرجال والنساء، ولا دليل لمن حصرهم في أهل العلم دون غيرهم، وإن يكن الأمر كذلك فأين الذين يَخْضِبُونَ الثرى بالمهج ويفدون الدين والوطن بالأرواح في سبيل الله، ولنا في ابن المبارك رحمه الله وهو يعاتب عابد الحرمين، قدوة فيما ذهبنا إليه، وما ذهب ابن المبارك مذهبه ذلك إلا وهو يستحضر دليله من حديث النبي ﷺ حيث يروي ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **"لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ"**

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.[٩]

عاشراً: اللغة وغريب اللفظ

قوله: مَنْ يرد، مَنْ بمعنى الذي، ويرد بمعنى يشاء والمعنى أن لله تعالى إرادةً في عباده، فمن يشأ الله أن يرزقه الخير فقهه في الدين، قال الراغب [١٠]:" متى قيل أراد الله كذا فمعناه حكم فيه".

---

[٨] – العيني العمدة ٢٢٩/٢٠

[٩] – رواه الترمذي ١٧١/٤ ح ١٦٣٣ وهو حديث صحيح وذكره ابن حجر في الفتح(٣١٢/١١) ونقل تصحيح الترمذي والحاكم للحديث فكأنه استحسن صنيعهما.

[١٠] – المفردات ص ٣٧١

قوله: خيراً يدل أصل وضع المادة على العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير: خلافُ الشر، لأن كل أحدٍ يميل إليه ويعطف على صاحبه، ومنه: الاستخارة، وهي الاستعطاف[11] .

قال الراغب: "الخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر، وفي الآية: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**﴾ (آل عمران ١٠٤) أي الإسلام. [12]

وفي الحديث: "خيركم خيركم لأهله" فيه حث على صلة الرحم.

والمعنى في حديثنا، من أراد الله أن يرزقه من كل ما يرغب فيه الناس، حبب إليه الفهم والفقه في دين الله.

قال ابن حجر:" نكر "خيراً" ليشمل القليل والكثير، والتنكير للتعظيم لأن المقام يقتضيه"[13]

قال العيني [14]:" قوله خيراً عام لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم؛ أي جميع الخيرات، ويحتمل أن يكون التنوين للتعظيم".

قوله: يفقهه دل أصل مادة فقه على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهتُ الحديث أفقهُه، وكل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه [15].

قال ابن الأثير [16] :" اشتقاقه من الشق والفتح" وقال:" قد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، وتخصيصاً بعلم الفروع منه".

---

[11]- ابن فارس : ٢/٢٣٢ .

[12] - المفردات ٣٠١

[13] - الفتح ١/٢١٨

[14] - البدر العيني في العمدة ٢٠/٢٣٠

[15] - ابن فارس في المفردات ٤/٤٤٢

[16] - النهاية ٤٦٥.

قال الراغب [17]:"الفقه، هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم. قال تعالى:﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾(النساء ٧٨) وقال:﴿ ولكن المنافقين لا يفقهون﴾(المنافقون٧) والفقه: العلم بأحكام الشريعة، يقال: فَقُه الرجل فقاهة: إذا صار فقيهاً، وتفقه إذا طلبه فتخصص به، قال تعالى:﴿ ليتفقهوا في الدين﴾(التوبة١٢٢).

والمعنى في حديثنا كما قال ابن حجر:" أن من لم يتفقه في الدين ويتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير"[18]قلت: يحمل كلامه على تعلم ما تقوم عليه العبادة، أو ما لا غنى عنه للعبد في عمله؛ كعلم ما يحل ويحرم من عمله.

قوله:في الدين يدل أصل وضع المادة "دين" على الإنقياد والذل فالدين الطاعة يقال: دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع، وقومٌ دينٌ أي مطيعون،ومنه سميت المدينة مدينة لما يُتَمَثَّل فيها من طاعة أولي الأمر والنهي [19] ولعله لذلك سمى النبي ﷺ يثرب بالمدينة، فثمت فرق بين المدينة بمعنى المطيعة ويثرب بمعنى المُلامة، إذ التثريب بمعنى اللوم ومنه قول العرب: لا تثريب عليك بمعنى لا لوم عليك، ومن معنى التثريب قولهم: رجل مدين: عليه دين، والدَّيْنُ مذلة وملامة وتثريب.

قلت: يأتي لفظ الدين في القرآن بعدة معانٍ: الأول: الطاعة و الثاني: الجزاء والثالث: الإسلام والرابع: الانقياد والخضوع والخامس الشريعة. فمن الأول: قوله تعالى: ﴿ **ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾(النساء١٢٥) يعني طاعة، ومن الثاني:﴿**فلولا إن كنتم غير**

---

[17] - الراغب في المفردات ٦٤٢

[18] - الفتح ١/٢١٨

[19] - ابن فارس ٢/ ٣١٩

مدينين﴾(الواقعة ٨٦) أي غير مجزيين، ومن الثالث:﴿أفغير دين الله يبغون﴾(آل عمران٨٣) يعني الإسلام، ومن الرابع:﴿ولا يدينون دين الحق﴾(التوبة٢٩) أي لا ينقادون، ومن الخامس:﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾(يوسف٧٦) أي في شريعته.

و يرد اللفظ نفسه في الحديث بالمعاني السابقة كلها؛ فمن الأول:" أريد من قريش كلمة تَدين لهم بها العرب" أي تطيعهم، ومن الثاني:"إن الله ليَدين للجمّاء من ذات القرن" أي يقتص ويجزي، ومن الثالث:" يمرقون من الدين المروق السهم من الرّمِيّة" يعني يمرقون من الإسلام، ومن الرابع:"أستودع الله دينك" يعني أجعل حسن تدينك وانقيادك لله وديعة عندك، وذلك لما يصيب المسافر من المشقة التي تسبب له إهمال بعض أمور دينه، ومن الخامس:"إنه عليه الصلاة والسلام كان على دين قومه" أي على ما بقي عليه قومه من شريعة إبراهيم عليه السلام.

وقيل إن الدين يأتي بمعنى العادة، وعليه المعنى الخامس في المعاني السابقة من الكتاب والسنة.

ومعني الدين في هذا الحديث: الإسلام والشريعة ويحتمل أن يراد بالدين في حديثنا المعاني السابقة كلها فيعنَى المسلم مع فقه الشريعة بعامة فقه الطاعة وفقه الإنقياد لأمر الله وفقه الجزاء الحسن وفقه العادات التي يعتادها الناس.

قوله: وإنما أنا قاسم:القسم في أصل الوضع يدل على أمرين الأول:الحسن والجمال ومنه قولهم: فلان مُقَسَّم الوجه أي حسنه وقسيم الوجه مليحه وصبيحه. والثاني: قَسَمْتُ الشيء قسماً والنصيب قِسم.

وفي القرآن:﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾(الحجر٤٤) أي نصيب مفرز لها،وفي الحديث:"إذا قَسَموا أقسطوا"

أى عدلوا في القسم. والمعنى في حديثنا أنما أنا قاسم أقسم بينكم بالعدل ولا أجور.

قوله: ويعطي الله أصل المادة يدل على أخذ ومناوله منه المعاطاة: المناولة، قال الخليل: منه اشتق الإعطاء، وعاطى الصبيُ أهلَه، إذا عمل لهم وناول ما أرادوا [٢٠]. قال الراغب:" العطو التناول، والمعاطاة المناولة، ومنه الآية:﴿حتى يعطوا الجزية﴾(التوبة٢٩).

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ:" إن أربى الربا عطو الرجل عرض أخيه بغير حق" أي تناوله بالذم ونحوه. والمعنى في حديثنا: أي يرزق وينعم ويكرم.

قوله:ولن يزال أمر هذه الأمة

الأمر الشأن، ومنه الآية:﴿إليه يرجع الأمر كله﴾(هود١٢٣) والمعنى في حديثنا: شأن هذه الأمة.

وهذه الأمة يعني المسلمة، قال ابن فارس في معجم مقاييسه [٢١]: الهمزة والميم أصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب وهي: الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهي متقاربة ؛ فالأم الواحدة وجمعها أمهات، وأمات وهي الوالدة القريبة التي ولدتك، والبعيدة التي ولدت من ولدتك، ومنه قولنا: أمنا حواء . وقال الراغب [٢٢]: الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما ؛ إما دين واحد، أو مكان واحد، أو زمان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً، وجمعها أمم .

---

[٢٠] – ابن فارس المعجم ٤/ ٣٥٣

[٢١]– ١ : ٢١

[٢٢]– مفردات ألفاظ القرآن ٨٦

وفي الآية :﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾ (الأنعام ٣٨) أي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع .

ومنه الآية:﴿**كان الناس أمة واحدة**﴾ (البقرة ٢١٣) أي صنفا واحدا وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر، وفي الآية الأخرى:﴿**ولتكن منكم أمة**﴾ (آل عمران ١٠٤) أي جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم .

أما قولهم كما حكى القرآن عنهم:﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة**﴾ (الزخرف ٢٢) فمعناها على دين .وقوله تعالى: { **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله**﴾ (النحل ١٢٠) أي قائما مقام جماعة في عبادة الله وذلك كقولهم: فلان في نفسه قبيلة .

وفي حديث مصالحة اليهود :" إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين " يريد أنهم بالمصالحة التي وقعت بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم، كلمتهم وأيديهم واحدة " وفي الحديث: " لولا أنّ الكلاب أمة تسبح الله لأمرت بقتلها " والمعنى أن كل جيل من الناس والحيوان أمة.

والمعنى المقصود في الحديث غير بعيد عن المعاني السابقة؛ فالأمة الجماعة المسلمة ذات الدين الواحد، القانتة المؤمنة الموعودة بهذا الوعد المقضي لها أن تبقى على الأيام ظاهرة الدين قوية الإيمان.

قوله: مستقيماً: قال ابن فارس:[٢٣]" القاف والواو والميم أصلان صحيحان يدل احدهما على جماعة ناس والآخر على انتصاب أو عزم.

---

[٢٣] - المعجم ٥/٤٣

و قال الراغب:" الاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خط مستوٍ، وبه شبه طريق المحق ومنه الآية:﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾(الفاتحة٦)[٢٤].ومعنى مستقيماً؛ ماضياً على عزم وانتصاب.

قوله: حتى تقوم الساعة، يعني القيامة قال الراغب:" الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر به عن القيامة" [٢٥].وقوله: حتى يأتي أمر الله معناه الساعة، وأمر الله مأخوذ من قوله تعالى:﴿أتى أمر الله﴾(النحل١).

حادي عشر: ألفاظ الحديث ورواياته

روى مسلم في صحيحه قال: حَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ وَهُوَ ابْنُ بُرْقَانَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الأَصَمِّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ذَكَرَ حَدِيثًا رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَسْمَعْهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِنْبَرِهِ حَدِيثًا غَيْرَهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ولا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**" [٢٦]

و حَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ وَهُوَ ابْنُ بُرْقَانَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الأَصَمِّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ذَكَرَ حَدِيثًا رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَسْمَعْهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِنْبَرِهِ حَدِيثًا غَيْرَهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَلا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ**

---

[٢٤] – الراغب في المفردات ٦٩٢

[٢٥] – الراغب في المفردات ٤٣٤

[٢٦] – رواه مسلم رقم

عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" [٢٧] و حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ يَخْطُبُ يَقُولُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ**"[٢٨]

وروى الدارمي قال: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ جَبَلَةَ بْنِ عَطِيَّةَ عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"[٢٩]

وقال أحمد في المسند: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ يَعْنِي الْقُرَظِيَّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ يَقُولُ:" **تَعَلَّمُنَّ أَنَّهُ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ اللَّهُ ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْهُ الْجَدُّ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**" سَمِعْتُ هَذِهِ الأَحْرُفَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الأَعْوَادِ[٣٠]

وقال أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلاةِ:" **اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**"[٣١]

وقال ابن ماجه: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ جَنَاحٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ حَلْبَسٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ

---

٢٧ -

٢٨ - رواه مسلم رقم

٢٩ -

٣٠ -

٣١ -

بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:" **الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"[٣٢]

ثاني عشر: معنى الحديث

كان الصحابة ﷺ قد انصرفوا عن تجارتهم وأرزاقهم إلى الجهاد في سبيل الله ونشر الدين في آفاق الأرض وأصقاعها، فكسدت تجارتهم، وشحت أرزاقهم، وذوت مزارعهم، وأوشكت أن تصيبهم الفاقة الشديدة. ولهذا نجد الصحابة يعلنون الشكوى لله تعالى إذ يتنزل قوله سبحانه:﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾ (التكاثر آية٨) فيقول الزبير بن العوام: وأي نعيم نسأل عنه؟[٣٣]

وقد اشتكى الصحابة للنبي ﷺ فقالوا: يارسول الله أحرق بطوننا التمر، وتحرقت عنا الخُنُف.[٣٤]

وروى عدي بن حاتم كيف جاء الصحابة بحضرته يشتكون للنبي ﷺ الفاقة وقلة ذات اليد[٣٥] وكان النبي ﷺ يعدهم ويصبرهم ويبعث فيهم من عزمه عزماً ومن أمله أملاً، غير أن رواية مسلم الآتية لحديثنا تبين أنَّ نفراً من الصحابة ﷺ كانوا يلحون في السؤال ويكثرون من الطلب.

يقول مسلم حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَخِيهِ هَمَّامٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

---

٣٢ - ابن ماجه

٣٣ - رواه ابن ماجة ١٣٩٢/٢ ح٤١٥٨ والترمذي ٤٤٨/٥ ح٣٣٥٦ وأحمد ٣٤٦/١ ح١٤٠٥ ط الدرويش.

٣٤ - أحمد ٤١٣/٥ ح١٥٩٨٨ ط الدرويش والخُنُفُ جمع خَنِيف، وهو نوع غليظ من أردإ الكتان، وأراد ثياباً تعمل منه كانوا يلبسونها (النهاية٨٤/٢) .

٣٥ - البخاري ١٧٦/٤ المناقب علامات النبوة.

عَلَيْهِ وَسَلَّم:"لا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ فَوَاللَّهِ لا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ"[٣٦]

وروى أحمد قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ قَالَ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَلَّمَا خَطَبَ إِلاَ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي خُطْبَتِهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" إِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوٌ خَضِرٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ بَارِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِيهِ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُ فِي الدِّينِ وَإِيَّاكُمْ وَالْمَدْحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ فِيهِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ" [٣٧]

فدل الحديث على أن الصحابة كانوا يتطلعون لما عند النبي ﷺ ولعلهم كانوا يلحفون عليه ﷺ فيعطيهم وهو كاره، فلفتهم النبي ﷺ في هذا الحديث لما ينبغي لهم أن ينصرفوا إليه، من التفقه في الدين، ولأنْ يروح المرء فقيهاً خيرٌ له من أن يروح مكتسباً مالاً وعطاءً، فمن أراد الله به خيراً فقهه في دينه وآتاه علماً يتيه به على أصحاب الكنوز والأموال.

وبين لهم النبي ﷺ أنه لن يدخر مالاً عنده، فما آتاه الله تعالى من مال قسمه بينهم، إنما أنا قاسم، ويعطي الله. ولأنه قد يتبدى لكثير من الصحابة التخوف على هذه الدعوة بَشَّرَهم ﷺ بما يُطَمْئن قلوبهم من إكرام الله تعالى هذه الأمة، وماوعدها من تمكين أبد الدهر حتى تقوم الساعة

ثالث عشر: أحكام الحديث و لطائفه الدعوية والتربوية

١- فيه فضيلة العلم، وأنه مَنْ أعطي العلم فقد أعطي الخير كله، والنص آكد في طلب الفقه بخاصة، ولا يحمل الفقه الوارد في الحديث على

---

٣٦ -

٣٧ -

الفقه بالمعنى الذي استقر عليه اليوم، وإنما يقصد به الفهم المطلق لدين الله، من كتاب وسنة، وعقائد وفروع، وقد يُعطى المرءُ العلمَ، فيكون فيه حافظاً كما القيعان، يحمل العلم ولا يدري فقهه، ومِثْله من عنى النبي ﷺ حين قال:" فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"[٣٨] وقد روى فضلان بن صالح قال: قلت لأبي زرعة الرازي: أنت أحفظ أم المرار؟ فقال: أنا أحفظ وهو أفقه.[٣٩] وعليه ففقه الدين أولى من حفظه، ورب فقيه غير حافظ ورب حافظ غير فقيه.

٢- كثر كلام العلماء في الطائفة الموعودة قال الترمذي: قَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْمَعِيلَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ.[٤٠] وقال أحمد:" إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم" [٤١] قال عياض:" إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتَقدون مذهب أهل الحديث" [٤٢] وأجود ما وجدته في بيان الطائفة قول النووي :" يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير" [٤٣]

٣- فيه من اللطائف أن الله تعالى إنما يحفظ الأمة بالعلماء الفقهاء الذين يحسنون فهم الدين ويعملون به، وذلك مأخوذ من ترتيب الحديث إذ بدأ بالفقه والعلم ثم ذكر وعد الله الأمةَ بعدم الزوال إلى قيام الساعة.

٤- فيه عزاء لمن ترك الدنيا لأجل العلم، وقد صنف أستاذنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة كتابه" العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج" فيه

---

[٣٨] - رواه البخاري في كتاب العلم باب رب مبلغ أوعى من سامع.

[٣٩] - سير أعلام النبلاء ١٢/٣٠٩.

[٤٠] - الترمذي ٤/٤٢٠ ح٦١٩٢

[٤١] - صحيح البخاري ٤/ ٧٨

[٤٢] - حاشية الإحسان ١/ ٢٦٢

[٤٣] - النووي في شرح مسلم ١٣/٦٦

بيان شأن من ترك النساء والأولاد لأجل طلب العلم؛ فأعطوا ولم يأخذوا، منهم النووي وابن حزم وابن تيمية. ومن العلماء من أعطى طلبة العلم ماله كله حتى غدا مفلساً من كثرة إنفاقه عليهم، منهم الحسين بن عبد الله الطيبي، قال الشوكاني في البدر الطالع[٤٤]:" كان في مباديء عمره صاحبَ ثروة كبيرة فلم يزل ينفق ذلك في وجوه الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيراً".

دهبا ولا فضه تَرَكَ عقاراتٍ؛ جلّ ما يتركونه - إذا تركوا- مكتبة عامرة في دار متواضعة" [٤٥]رحمهم الله، ومضى العلماء ومضى التجار، ويبقى ذكر ابن حنبل في الناس سابقاً ذكر كل تاجر، وفنيت المتاجر ونامت الأسواق، وبقيت الكراريس التي كُتبت على السرج فجراً بوضوء العشاء، فلا يحزن العلماء وقد علموا أن "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين".

٥- في الحديث من فقه الأولويات توجيه المسلمين إلى الأكثر فائدة، فمن واجب الأمة أن تمضي بأكثر أفرادها كفاءة نحو العلم والفهم، لما له من دور في بناء الأمة، والخطاب النبوي بعمومه له دلالته فهو يأمر جميع المسلمين بالاهتمام بفقه بالأوليات من خلال تحفيزهم نحو الفقه أولاً ثم بعد ذلك يبحثون عن غيره من الأمور.

٦- بين الحديث بمجموع طرق رواياته بعض صفات النفس الإنسانية، من كراهة الفقر ومن البحث عن سبل الرفاه، وقد بينتْ كيف كان الصحابة يذهبون إلى النبي ﷺ يسألونه المال والعطاء لدفع غائلة الفقر عن أنفسهم.

---

[٤٤] - البدر الطالع ٢٢٩/١

[٤٥] - تاريخ علماء دمشق ١٧/١

٧- في الحديث لفت للدعاة نحو احتمال الناس، والصبر عليهم إذ يشتكون، والرجوع إلى القادة والدعاة والمسؤلين حق ثابت للناس لا يصح مصادرته؛ فقد كان الصحابة يسألون النبي ﷺ وربما كانوا يلحون في الطلب كما بينت بعض الروايات، وهذا إن يقع مع النبي ﷺ وأصحابه، ويحتمله لهم ويقبله الدين فإن احتماله ممن يأتي بعدهم أولى؛ لرقة الدين وقلة ذات اليد، كما يدل الحديث على ضرورة اعتماد الناس على أنفسها في أقواتها وأرزاقها، وأن لا تنتظر من الدولة أن تحل كل مشكلاتها.

٨- في الحديث إشارة للناس بعمومهم للإنصراف عن هذه المسائل إذا وجههم القادة تلك الوجهة، فإنه إذا كان على القادة أن تحتمل الناس فإنه من حق القادة عليهم أن يتجهوا لجهة الخير التي يرونها.

٩- إن على المؤسسة المسلمة؛ دولة كانت أم دعوة، أن تعي دور الإعلام في الحياة، وأن تحسن استغلاله، وأن تجيد تسخيره لأهدافها، فإن حديثنا قد زرع الثقة في نفوس الصحابة ومَنْ بعدهم ممن يرابطون على ثغور حديث الطائفة وبين أن التسابق لا يكون على المال والعطاء وأن الخير لا يكون إلا حيث الفقه والفهم والعلم .

١٠- يشي الحديث بحال الدول في بدايات نشأتها، من حيث عدم القدرة على تلبية حاجات الناس، وأختلاف الناس في الأولويات، حتى يقطع القادة بذلك، وينبني عليه أن على المؤسسة المسلمة ألا تتأخر في تحديد أولوياتها أو يسبقها الآخرون.